الموازنات في القرآن الكريم...
أقسامها، أساليبها ، أهدافها

(دراسة موضوعية)

إعداد

عبد المحسن جمعة عبد الحميد

المدرس بقسم التفسير وعلوم القرآن

كلية أصول الدين - القاهرة

الموازنات في القرآن الكريم أقسامها، أساليبها ، أهدافها (دراسة موضوعية)

عبد المحسن جمعة عبد الحميد مجاور

قسم التفسير وعلوم القرآن – كلية أصول الدين بالقاهرة جامعة الأزهر ، مصر

البريد االإلكتروني : AbdulMohsenadjacent.2011@azhar.edu.eg

الملخص:

إن الموازنات في القرآن الكريم من الموضوعات التي تستخدم لعرض القضايا ؛ وتقريرها نفيا أو إثباتا ، وبيان الفرق بين طرفي الموازنة ، أو أفضلية أحدهما على الآخر، فبها يتبين الحق من الباطل ، والصواب من الخطأ .

وبتتبع الموازنات في القرآن وُجِد أنها تنقسم إلى عدة أقسام باعتبارات متعددة كالتالي :

فهي باعتبار التصريح بطرفي الموازنة وأدواتها وعدمه : صريحة ، وغير صريحة . وباعتبار الكلام في جزئيات وتفاصيل القضية وعدمه : إجمالية وتفصيلية . وباعتبار استغراق الطرفين لجميع الأفراد وعدمه : عامة وخاصة .وباعتبار تعدد أطرافها فهي موازنة بين طرفين ، أو بين أطراف متعددة . ومن حيث التشابه وعدمه فهي إما بين متشابهين أو بين مختلفين.

ومن الموازنات ما هو على صورتها لكنه ليس موازنة في الحقيقة .

وللموازنـات أدواتهـا ، وأسـاليبها المتعـددة ، ولهـا مـنهج وضـعه العلمـاء لضبطها ، وفي النهاية فإن لكل موازنة غرضا سيقت لأجله ، وهدفا جاءت لتحقيقه .

الكلمـات المفتاحيـة : (الموازنـات ، القرآن الكـريم ، أدواتهـا ، أسـاليبها ، أهدافها ، موضوعية) .

Budgets in the Holy Quran sections, methods, objectives (objective study) Abd Al, Mohsen Juma Abdul Hamid Magher

Department of Interpretation and Qur'anIc Sciences - Faculty of Religious Origins in Cairo, Al-Azhar University, Egypt

E-mail: AbdulMohsenadjacent.2011@azhar.edu.eg

Abstract:

The budgets in the Qur'an are topics that are used to present issues ;

By tracking the budgets in the Qur'an, it was found that they are divided into several sections with multiple considerations as follows:

It considers the statement of the budget and its instruments and not: explicit, and not explicit. Considering the words in the parts and details of the case and not: total and detailed. Considering that the parties are for all individuals and not: general and private. In terms of similarity and lack, they are either between the same or between different.

It is a budget that is in its image, but it is not really a budget .

Budgets have their own tools, their multiple methods, and they have a method developed by scientists to control them, and in the end each budget has a purpose for which it will be met, and a goal that it has come to achieve .

Keywords: (budgets, Qur'an, tools, methods, objectives, objectivity).

بسم الله الرحمن الرحيم

الموازنات في القرآن الكريم ...أقسامها، أساليبها، أغراضها .

(دراسة موضوعية)

مقدمة :

يسلك القرآن مسالك عدة في عرض وتقرير قضاياه :

فتارة بضرب المثل ، وأخرى بسرد الأدلة والبراهين ، وثالثة بالقَسَم ، ورابعة بالجدل ، وتارة بالقياس ، وأخرى بالأمر بالتدبر والنظر ، وغير ذلك من الطرق المتعددة التي حفل بها القرآن الكريم ، لتقرير وإثبات أو نفي وإبطال، أو حتى مجرد عرض القضايا التي يتناولها ، ومن المسالك التي يتوقف أمامها القارئ مليّا **طريقة الموازنة**

فبالموازنة بين الشيئين – سواء أكانا متماثلين أم متناقضين[1] أم متضادين – يظهر الفرق بينهما ، ويتبن الحق من الباطل ، أو الصواب من الخطأ أو أفضلية أحدهما على الآخر ، على حد قول القائل :

---

[1]) النقيضان: ما كان التقابل بينهما تقابل النفي والإثبات أو العدم، والملكة، ولذا لا يمكن اجتماعهما في مادة، ولا ارتفاعهما كالحركة والسكون. وأما المتضادان: فيجوز ارتفاعهما ويمتنع اجتماعهما كالسواد والبياض.معجم الفروق اللغوية (٣٢٦) لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ) .

وقال التهانوي : هما الأمران المتمانعان بالذات أي الأمران اللذان يتمانعان ويتدافعان بحيث يقتضي لذاته تحقّق أحدهما في نفس الأمر انتفاء الآخر وبالعكس كالإيجاب والسّلب فإنّه إذا تحقّق الإيجاب بين الشيئين انتفى السّلب، وبالعكس.كشاف ==

ضدان لما استجمعا حَسُنا والضدُّ يُظهر حُسْنَه الضدُّ [1]

وقول الآخر :

ونذمهم وبهم عرفنا فضلَه وبضدها تتبين الأشياء [2]

وهذا المبحث _ على حد علمي واطلاعي _ لم أقف على من صنف فيه استقلالا ، اللهم إلا شذرات منثورةً في ثنايا التعرض لتفسير بعض الآيات عند بعض المفسرين كالعلامة الزمخشري في كشافه ، وابن جُزيّ في التسهيل ، والبقاعي في نظم الدرر، واالشيخ عبد الكريم الخطيب في كتابه : التفسير القرآني للقرأن ، وصاحبِ التحرير والتنوير الشيخ ابن عاشور ، والعلامة محمد أبي زهرة في كتابه زهرة التفاسير، وفضيلة الشيخ سيد طنطاوي في التفسير الوسيط ، والدكتور وهبة الزحيلي في تفسيريه الوسيط والمنير ، رحمهم الله جميعا.

==

اصطلاحات الفنون (١٧٢٦/٢) . والعدم والملكة أمران أحدهما وجودي والآخر عدم ذلك الأمر الوجودي لا مطلقا، بل من القابل، كالبصر والعمى ، فالعمى عدم البصر عما من شأنه البصر .

١) البيت من الكامل وهو من قصيدة تعرف بالدعدية أو يتيمة الدهر ، واختلف في قائلها فقيل إنها لدوقلة المنبجي (شاعر مغمور، عاش في أواخر القرن الثاني الهجري) ، وقيل لذي الرمة ، وقيل غير ذلك : وقبل هذا البيت قوله :

فالوجه مثل الصبح مُبيَضٌّ والشعر مثل الليل مسودُّ

ينظر: الدر الفريد وبيت القصيد لمحمد بن أيدمر المستعصمي ، (١٦٢/٢) .

٢) البيت من الكامل وهو لأبي الطيب المتنبي ومعناه : ونذم خصوم الممدوح وبهم عرفنا فضله ومكانته ، لأنهم أضداد له في حسن صفاته ، والمضادة هي التي تُثبتُ حُسنَ الشيء وقُبحَه .

وقد قصدت بالكتابة فيه بشيئ من التفصيل إظهار جانب من اهتمام القرآن بالموازنة وكونها من المباحث المهمة في إظهار الحق من الباطل وتمييز الصواب من الخطأ ، وتمييز أحد الأمرين عن الآخر

بالحجج الناصعة والبراهين القاطعة ، وذلك حين عرض القرآن لقضاياه . وسوف تكون الدراسة نماذجية لا استقصائية ؛ نظرا لكثرة آيات الموازنة في القرآن الكريم ، ولضيق البحث عن استيعابها .

وقد اشتمل هذا البحث على مقدمة ومبحثين وخاتمة .

المقدمة : وقد ضمنتها تمهيدا شرحت فيه مدلول الموازنة من حيث اللغة، وأي مفاهيمها هو المقصود في هذا البحث .

- **المبحث الأول** : تناولت فيه – في عدة مطالب – أقسام الموازنة ، وأساليبها ، وأدواتها .

- **المبحث الثاني** : أهداف الموازنة والغرض منها .

والله أسأل التوفيق والسداد .

تمهيد :

مفهوم الموازنة من حيث اللغة :

تدور معاني الموازنة في اللغة حول عدة معان منها :

١ – المعادلة والمساواة والمقابلة : في الوزن ، أو في أي أمر كان ، ماديّ أو معنويّ .

قال ابن منظور : وازنه: عادله وقابله. وهو وَزْنه وزِنَتُه ووِزانُه وبِوِزانِه أي قُبالته.[١]

وبهذا المعنى تأتي المقابلة والمساواة بين الشيئين بذكر أخص أوصافهما ؛ لبيان فضل كل منهما في نفسه ؛ لا بيان أفضلية أحدهما على الآخر .

٢ – المحاذاة في المكان .

قال ابن فارس: (وَزَنَ) الْوَاوُ وَالزَّاءُ وَالنُّونُ: بِنَاءٌ يَدُلُّ عَلَى تَعْدِيلٍ وَاسْتِقَامَةٍ.[٢]

و في أساس البلاغة : (داري توازن دارَك أي تحاذيها ، وهي بوزانها ووزنها وزنتها: بحذائها.)[٣]

وازنَ الشيءُ الشيءَ: إذا كان على زِنتهِ وهذا يوازن ذلك: أي يحاذيه. [٤]

وفي الصحاح : هَذَا يُوَازِنُ هَذَا إِذَا كَانَ عَلَى زِنَتِهِ أَوْ كَانَ مُحَاذِيَهُ.[٥]

---

١) لسان العرب (وزن)

٢) معجم مقاييس اللغة (وزن) .

٣) أساس البلاغة للزمخشري (٣٣٢/٢) .

٤) شمس العلوم لنشوان بن سعيد الحميري (١١/ ٧١٥٢) .

٥) الصحاح للجوهري (وزن) .

٣ – المساواة والتقابل في الميزان الصرفي :

كقول الزمخشري وغيره : (حم وطس ويس) موازِنة لقابيل وهابيل [١]. أي تساويها وتقابلها في الوزن الصرفي .

٤ – **المفاضلة بين الشيئين** ، وهذا هو أكثر معاني الموازنة استعمالا، وهو ما يعرف بالمقارنة (بمعناها المستحدث) . وتحت هذا المعنى صنفت كتب للمفاضلة بين الشعراء ؛ ككتاب الموازنة بين أبي تمام والبحتري _ الشاعرين المعروفين _ لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي المتوفى سنة سبعين وثلاثمائة .وكتاب الموازنة بين الشعراء للدكتور زكي مبارك ،

وقد وردت أكثر هذه المعاني في المعجم الوسيط [٢] :

(وازن) بَين الشَّيْئَيْنِ موازنة ووزانا : سَاوَى وعادل، وَالشَّيْءُ الشَّيْءَ : ساواه فِي الْوَزْن وعادله وقابله وحاذاه

الموازنة عند البلاغيين :

هي تَساوي ألفاظ فواصل الكلام المنثور في الوزن ، وتَساوي صدر وعجز البيت من الشعر في الوزن . وهي أحد أنواع السجع ، وهي أخص منه .

ومن هذا الباب قوله تعالى : **(وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ . وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ)** . [٣]

---

١) الكشاف (٢١/١) ، مفاتيح الغيب (٢٥٨/٢) .

٢) المعجم الوسيط : (١٠٢٩/٢) .

٣) الصافات : (١١٧، ١١٨) .

فهنا موازنة بين الكتاب والصراط ، وبين المستبين والمستقيم .

وقول الخنساء[١] في رثاء أخيها :

حامي الحقيقةِ ، محمودُ الخليقةِ ميمونُ الطريقةِ نفّاعٌ وضرّارٌ

فقولها : محمود ، وميمون ، ونفاع ، وضرار، من الموازنة [٢]

و الذي أقصده من معاني الموازنة في هذا البحث هو المقابلة الواردة في القرآن الكريم بين أمرين أو أكثر ، لبيان حقهما من باطلهما ، وصوابهما من خطئهما ، والمفاضلة بينهما ليحكم بفضل أحدهما على الآخر ، وكذلك الموازنة بمعنى المساواة والمعادلة بين الشيئين بذكر أخص أوصافهما ؛ لا تفضيل أحدهما على الآخر .

- هل المقارنة بمعنى الموازنة ؟

لم أقف في أمهات كتب اللغة القديمة ، ولا في كلام القدماء من المفسرين وغيرهم – فيما رجعت إليه – على استعمال كلمة المقارنة بمعنى الموازنة ، غير أنها مما استُحدِث استعماله بهذا المعنى .

ولعل هذا هو الذي جعل البعض يرى عدم صحة استعمال مصطلح (المقارنة) في معنى الموازنة .

قال الدكتور مساعد الطيار في كتابه : فصول في أصول التفسير :

---

١) هي الصحابية الجليلة الشاعرة : تماضر بنت عمرو بن الشريد السلمية. الاستيعاب (١٧٩٨/٤) .

٢) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم الإعجاز ليحيى بن حمزة (٢٢/٣) ,

اشتهر استعمال مصطلح "المقارَن" في الدراسات المعاصرة ، والصحيح لفظ (الموازَن) ، لأن المقارن من مادة (قَرَن) التي تعني القرن بين الشيئين ، أي الربط بينهما ، وما يقوم به من يعمل ما يسمى بالمقارنة إنما هو موازنة. اهـ[1]

أقول : والحق جواز استعمال المقارنة في معنى الموازنة والمفاضلة بين الشيئين ، لأمرين :

الأول :لأن مصطلح المقارنة مما استُحدِث استعماله في هذا المعنى،واصطُلِح عليه، وشاع هذا الاستعمال، ففي المعجم الوسيط:

قارن الشَّيْء بالشَّيْء وازنه بِهِ (محدثة) وَبَين الشَّيْئَيْنِ أَو الْأَشْيَاء وازن بَينهَا فَهُوَ مُقَارن وَيُقَال الْأَدَب الْمُقَارن أَو التشريع الْمُقَارن (محدثة).[2]

وقد جاء في معجم الصواب اللغوي أنه يمكن تصحيح الفعل – قارَن – استنادًا إلى وروده في المعجم الوسيط بمعنى (وازن) ، والنصِّ على أنه محدث . وشيوع هذا الاستعمال في لغة المعاصرين .[3]

الثاني : أن مادة (قَرَن) تدل على الجمع بين الأشياء ، فالقارن يجمع بين شيئين أو أكثر لغرض ما ، وقد يكون من بينها المفاضلة بينهما ، فمن هنا يجوز استعمال المقارنة بمعنى الموازنة .

---

١) فصول في أصول التفسير للدكتور مساعد الطيار (ص٣٢)

٢) المعجم الوسيط (٢/٧٣٠) .

٣) معجم الصواب اللغوي للدكتور أحمد مختار عمر وآخرين (١/٥٩٦) .

لكن الأَوْلى استعمال كلمة الموازنة بدل المقارنة ، لأصالة الأُولى ؛ ولكون الثانية مما استُحدِث ، والأولوية تكون لما هو أصيل في بابه والله أعلم .

المبحث الأول

أقسام الموازنة ، وأساليبها ، وأدواتها

المطلب الأول :أقسام الموازنة .

تنقسم الموازنة إلى عدة أقسام باعتبارات متعددة كالتالي :

أولاً : باعتبار التصريح بطرفي الموازنة وأدواتها وعدمه إلى قسمين :

القسم الأول : الموازنة الصريحة

القسم الثاني : الموازنة الغير الصريحة .

أ) **الموازنة الصريحة :** وهي التي يصرح فيها بطرفي الموازنة والأداة أو بعض ذلك .

ب) **الموازنة الغير الصريحة :** وهي التي يذكر فيها طرفا الموازنة أو أحدهما مع عدم ذكر الأداة .

وفيما يلي أمثلة لكلا القسمين :

القسم الأول : الموازنة الصريحة :

كقوله تعالى : **(أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)** [1]

---

١) الأنعام :١٢٢ .

وقوله : **(أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ)** . [١]

وقوله : **(أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ)** . [٢]

وقوله :**(قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)** .[٣]

وسيأتي شرح هذه الأمثلة وبيان الموازنة فيها في مواضعها من البحث .

القسم الثاني : الموازنة الغير الصريحة .

(وهي في مواضع كثيرة جدا من القرآن ،أقتصر منها على بعض الأمثلة **)** .

وفي هذا القسم وغيره مما ليس من الموازنات الصريحة قد لا يكون الغرض الأساس من النظم القرآني هو الموازنة بل سَوْق الكلام لأغراض أخرى ؛ لكن قد تأتي الموازنة بالتبع كما سيتضح من خلال البحث

ومن أمثلة الموازنات غير الصريحة :

– الموازنة بين سيدنا موسى وسيدنا عيسى عليهما السلام في قوله تعالى :

(تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ

---

١) محمد : ١٤ .

٢) السجدة : ١٨ .

٣) الزمر : ١٢ .

مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ) [1].

وردت الآية الكريمة للحديث عن الرسل الكرام ذوي المنازل العلية وكونهم متفاوتين في الفضل والرتبة ، فبعد أن ذكرت السورة عديدا منهم قبل ذلك في سياق الحديث عن طرف من أخبارهم ، تطلعت النفس إلى معرفة أحوالهم في الفضل ؛ هل هم فيه سواء أم متفاضلون ، فبينت أن الله سبحانه وتعالى قد فضل بعضهم على بعض ، ولما كان أكثر السورة في بني إسرائيل وأكثر ذلك في أتباع موسى عليه الصلاة والسلام بدأ بوصفه **(مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ)** ، وثنى بعيسى عليه الصلاة والسلام لأنه الناسخ لشريعته وهو آخر أنبيائهم ، **فقال : (وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ)** ، ولما كان الشخص لا يبين فضله إلا بآثاره وكانت آيات موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام أكثر من آيات من سبقهما ؛ خصهما بالذكر إشارة إلى ذلك ، وذكر أعظم ما خص به موسى عليه السلام وهو تكليمه بلا واسطة ، وأعظم ما خص به عيسى عليه السلام وهو الإحياء والإماتة بإذن الله الذي هو من جملة البينات التي أوتيها ، فتمت بذلك الموازنة بينهما.[2]

---

١) البقرة (٢٥٣) .

٢) نظم الدرر للبقاعي (٧/٤) بتصرف .

قال أبو الحسن الحَرَالّي [١] : وفي ذلك بينه وبين موسى عليهما الصلاة والسلام ، موازنة ابتدائية ، حيث كان أمر موسى من ابتداء أمر التكليم ، الذي هو غاية سقوط الواسطة ، وكان أمر عيسى، عليه الصلاة والسلام ، من ابتداء أمر الإحياء ، الذي هو غاية تصرف المتصرفين ، اهـ . [٢]

والظاهر أن الغرض من هذه الموازنة المقابلة والمساواة بين النبيين الكريمين بذكر أخص أوصافهما ؛ لبيان فضل كل منهما ؛ لا بيان أفضلية أحدهما على الآخر ؛ لكونهما من أولي العزم ، ولاتصاف كل منهما بأوصاف جليلة امتازا بها عن كثير من الأنبياء .

- الموازنة بين حالين للإنسان ، أو بين المؤمن والكافر حين حلول الضر به وحين كشفه عنه

وذلك في قول الله تعالى : **(وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ . وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ . إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ)** [٣]

فههنا موازنة بين حالين للإنسان ، حال الرخاء وحال الشدة . فحين يكون في عافية وسلامة من الآفات ورخاء في العيش ، ثم يمسه ضر يسير

---

١) هو علي بن أحمد بن الحسن بن إبراهيم التجيبي ، الإمام أبو الحسن الحرالي الأندلسي، المتوفى: ٦٣٧ هـ .تاريخ الإسلام للذهبي (٢٤٥/١٤) .

٢) تراث أبي الحسن الحرالي (ص ٤٣٩) تقديم وتحقيق: محمادي بن عبد السلام الخياطي .

٣) هود (٩-١١) .

وتسلب منه تلك النعم فإنه يظل قَنِطاً من رحمة الله ، آيسا من أن يعود ما سلب منه إليه ، مبالغا في جحد نعم الله الأخرى ، فإذا عادت إليه النعماء، وزالت عنه الضراء ، ليقولن مطمئنا إلى بقاءِ هذه النعمة : قد مضى البأْس ، وانقضى الضُّرُّ ولن يعود. ونسي ما كان فيه من ضَرَّاء ، واطمأن إلى بقاء النعمة الطارئة ، وفرح بها فرح بطر وغرور ، وتفاخر بها على عباد الله . [1]

وفي المقابل : الَّذِينَ يصبرُون على الضراء إيماناً بالله تعالى ، واستسلاماً لقضائه. وَيعملُون الصَّالِحاتِ شكراً لآلائه سابقها ولاحقها . أوئك لهم مغفرة لذنوبهم ، وأجر كبير أقله الجنة .

وهذا ما استظهره أبو حيان وغيره [2] ، أَن الإنسان هنا جنس ، فيكون المراد أنَّ هذا الخُلُق فِي سجايا النَّاسِ ، مؤمنهم وكافرهم ، ثُم استُثنِيَ منهم الذين رَدَّتهم الشرائعُ والإيمانُ إلى الصَّبر والعملِ الصالحِ ، ولذلك جاء الاستثناء منه فِي قوله : (إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا) مُتَّصِلًا. وهو كقوله تعالى **(إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ* إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)**[3] .

وَقِيلَ الاستثناء منقطع ، والْمُرَادُ هُنَا بِالْإِنْسَانِ الْكَافِرُ. لتقدم ذكر الكافرين في الآيات السابقة ، قال صاحب التفسير المنير : الآيات موازنة بين أوصاف الإنسان المؤمن وأوصاف الإنسان الكافر، ومنشأ الفرق هو الإيمان

---

١) التفسير الوسيط لمجمع البحوث الإسلامية (١٦٩/٤ بتصرف) .

٢) البحر المحيط ١٢٧/٦) .

٣) سورة العصر (١-٣) .

والكفر . [١] أو الْمرادُ بِه إِنْسَانٌ مُعَيَّنٌ ، وفي تعيينه قَال ابنُ عباس: هو الوليد بن المغيرة، وفيه نزلت . وَقيل : عبد الله بن أُمَيَّةَ المخزومِي، ذَكَرَهُ الواحِدِي . [٢] والمعنى : لكن الذين صبروا وعملوا الصَّالحات ؛ فإنَّهم إن يأتهم شدة صبروا، وإن نالوا نعمة شكروا .

الموازنة بين مصيرين في مقام تقصد فيه الموازنة

كقوله تعالى : (يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا) [٣] ففي النظم الكريم موازنة بين المتقين والمجرمين في مصير كل منهما ، فالمتقون ينطلقون إلى الجنة مكرمين كالوفود في مواكب التكرمة والتبجيل ، والمجرمون يساقون إلى جهنم سَوْق البهائم العطاش في مهانة واستخفاف بهم .

يقول الإمام الزمخشري : (ذكر المتقون بلفظ التبجيل ، وهو أنهم يجمعون إلى ربهم الذي غمرهم برحمته ، وخصّهم برضوانه وكرامته ، كما يفد الوفاد على الملوك منتظرين للكرامة عندهم ، وذكر الكافرون بأنهم يساقون إلى النار بإهانة واستخفاف ، كأنهم نعم عطاش تساق إلى الماء).[٤] .

ففي الآيتين موازنة بين مصيرين ، مصير المتقين ومصير المجرمين .وشتان ما بينهما من التفاوت الذي تجليه الآيات ، أما المتقون فإنهم

---

١) التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي (٣٠/١٢) .

٢) البسيط للواحدي (٣٥٩/١١) والوسيط له (٥٦٦/٢) ، وينظر زاد المسير (٣٦٠/٢) ، وفتح القدير للشوكاني (٥٥١/٢) .

٣) مريم (٨٥ ، ٨٦) .

٤) الكشاف (٤٢،٤٣/٣) بتصرف .

يحشرون بعد الحساب إلى دار الكرامة على هيئة الوفد ، يقول القاسمي : وأصل الوفود: القدوم على العظماء للعطايا والاسترفاد. ففيه إشارة إلى تبجيلهم وتعظيمهم ، المَزُور والزائر .اهـ [١]

فالمتقون يأتون في مواكب ، ويُستقبلون بما تُستقبل به الوفود من صنوف التحف والهدايا وصنوف الإكرام ، وعلى قدر كل موفود عليه تكون العطايا ، وهؤلاء يفدون على الرب الرحيم الكريم ، وليس أدل على كمال إكرام وفادتهم من استعمال الاسم الكريم (الرحمن) دون غيره .

أما المجرمون – عياذا بالله – فإنهم يساقون إلى جهنم ، بصنوف الإهانة ، كقطعان الماشية ، عطاشا تكاد تتقطع حلوقهم من العطش ،

كما تساق البهائم العطاش إلى الماء ، فحينما يردون لا يجدون إلا حميما يقطع أمعاءهم.

وما ذكره صاحب غرائب القرآن [٢] عن بعض العلماء أن في الآية دلالة على أن أهوال يوم القيامة تختص بالمجرمين ،لأن المتقين من الابتداء يحشرون على هذا النوع من الكرامة ، يستشكل عليه أن هذا الحشر والسَّوْق إن كان في أول الحشر فأين ما ورد من شدة وهول الموقف على الخلق وفزعهم إلى الأنبياء ؛ ثم شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لبدء فصل القضاء ؟

---

١) محاسن التأويل (١١٣/٧) .

٢) هو الشيخ نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: ٨٥٠هـ) .

وقد رد هذا بأنه يحتمل أن يكون الحشر إلى الرحمن غير الحشر إلى الموقف ، فيراد بالحشر إلى الرحمن أي إلى دار كرامته وسوقهم إلى الجنة لقوله: **(وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً)**[١] وهذا بعد امتياز الفريقين ، فالأمن الكلي فيما بعد هذه الحالة لا ينافي الخوف والدهشة فيما قبلها كما ورد في حديث الشفاعة وغيره.).[٢]

وهو ما استظهره أبو حيان ؛ فهذه الوفادة تكون بعد انقضاء الحساب وأنها النُّهوضُ إلى الجنة كقوله تعالى :

(فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ)[٣] ، وَشُبهوا بالوفود لأنهم سَرَاةُ الناسِ، وأحسنُهم شكلًا وليست وفادةً حقيقية ، لأنها تتضمن الانصرافَ مِن الموفود عليه ، وهؤلاء مقيمون أبدا فِي ثواب ربهم وهو الجنة . والوِرْدُ الْعِطاش. [٤]

أقول : وهذا هو الأوفق ، لسلامته من الاعتراض عليه بإن الجميع مشتركون في حصول الهول والشدة لهم في ابتداء الحشر وقبل الشفاعة العظمى . والله أعلم .

ثم إن الموازنة في المصيرين مقصودة حتى يتبين الفرق بين المتقين والمجرمين فهؤلاء يساقون إلى مصيرهم كالأنعام حتى وإن كانوا أصحاب الحظوة والتكرمة في دنيا الناس ، وأولئك أهل الكرامة والتبجيل حتى و إن كانوا في الدنيا بخلاف ذلك .

---

١) الزمر (٧٣) .

٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٥٠٩/٤) .

٣) القمر (٥٥) .

٤) البحر المحيط (٢٩٨/٧) .

- الموازنة بين من يشكر النعمة وبين الكفور

ففي سورة لقمان يقول ربنا تبارك وتعالى : **(أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ . وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ)** [1] .

في النص الكريم موازنة لفظية وأخرى معنوية ؛ أما الموازنة اللفظية فبين الصبّار والختّار (أي الغدار) ، وبين الشكور والكفور ؛ إذ بينهم اتحاد في الوزن .

والمعنوية بين قوله تعالى **(إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ)** ، وبين قوله **(وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا ....)** حيث إن الآيات الكونية ، والنعم السابغة ينتفع بها ويشكرها كل صبار شكور ، ويجحدها كل ختار كفور .

و كذلك في الآية موازنة بين الكفور والشكور إذ هما ضدان من حيث المعنى .

فالآيتان تعقدان موازنة بين طرفين

الطرف الأول : (الصبّار) وهو من يصبر على عهده مع الله تعالى فلا ينقض هذا العهد ، ولا تزيده رؤية نعم الله تعالى وآياته إلا صبرا على العهد، ولا يزيده توالي إنعام الله عليه إلا شكرا على النعم .

---

١) لقمان (٣١ ، ٣٢) .

والطرف الثاني : الختّار وهو من يعطي العهد ثم يغدر . والغدر لا يكون إلا من قلة الصبر ، فكلما توالت أمام عينيه آيات الله يعاهد الله ثم ينقض ، وكلما تتابعت عليه النعم يقابلها بالجحود وعدم الشكر .

قال الإمام الرازي : قَوْلُهُ: **(وَما يَجْحَدُ بِآياتِنا)** فِي مُقَابَلَةِ قوله تعالى: **(إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ)** يعني يعترف بها الصبار الشكور، ويجحدها الخَتَّار الكَفور، وَالصَّبَّارُ فِي موازنة الْخَتَّارِ لفظًا ومعنًى ، والكفور فِي موازنة الشَّكُورِ، أَما لَفْظًا فَظَاهِرٌ، وَأَمَّا معنًى فلأن الخَتَّار هو الغدَّارُ الكثِيرُ الغدرِ أَو الشديدُ الغدر ، والغدر لا يكون إلا من قِلّة الصبر، لأن الصبور إن لم يكن يَعْهد مع أحد لا يُعْهدُ منه الإضرار، فإنه يصبر ويفوض الأمر إلى الله وأمَّا الغدار فيَعْهَدُ ولا يصبر على العهد فيَنقُضه ، وأما أنَّ الكفور في مقابَلَةِ الشكور معنى فظاهر .[1]

– الموازنة بذكر دلائل القدرة الإلهية ، وسرد براهينِ عجز كل مايُعبد من دون الله تعالى

كما في قوله تعالى : **(وَما يَسْتَوِي الْبَحْرانِ هذا عَذْبٌ فُراتٌ سائِغٌ شَرابُهُ وَهذا مِلْحٌ أُجاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْماً طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَها وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَواخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ . يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهارِ وَيُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ ما يَمْلِكُونَ مِنْ**

---

١) مفاتيح الغيب (١٣٢/٢٥) .

قِطْمِيرٍ . إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ) [1]

جاءت الآيات في سياق الاستدلال على قدرة المولى سبحانه وتعالى ، بعقد موازنتين :

الأولى : الموازنة بين البحرين الملح والعذب بذكر عدم استوائهما ، فهما وإن اتفقا في الصورة من حيث الخصائص ، وبعضِ قوانين المادة التي أودعها الله فيهما ، واتفقا كذلك في المنافع ، فكلاهما يؤخذ منه اللحم الطري ، والحُلِيّ ، وتجري الفلك على صفحتيهما ؛ لكنّ كلا البحرين مختلفان طعما ، فهذا عذب فرات سائغ للشاربين ، وذاك ملح شديد الملوحة . وفي هذا من الدلالة على كمال القدرة مافيه

يقول الإمام الرازي رحمه الله : وَمَنْ يُوجِدُ فِي الْمُتَشَابِهَيْنِ اخْتِلَافًا ، ومن الْمُخْتَلِفَيْنِ اشْتِبَاهًا لَا يَكُونُ إِلَّا قَادِرًا مُخْتَارًا. وَقَوْلُهُ: وَما يَسْتَوِي الْبَحْرانِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ عَدَمَ اسْتِوَائِهِمَا دَلِيلٌ عَلَى كَمَالِ قُدْرَتِهِ وَنُفُوذِ إِرَادَتِهِ. اهـ[2]

فالغرض من هذه الموازنة بيان دلائل طلاقة القدرة الإلهية .

الثانية: الموازنة بين تمام الملك لله تعالى ، وبين عدم الملك لما يُعبد من دونه سبحانه وتعالى في قوله تعالى :

(يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا

---

١) فاطر (١٢ – ١٤) .

٢) مفاتيح الغيب (٢٦ /٢٢٨) .

يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ . إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ.) [1] .

فتمام الملك يقتضي تمام التصرف ، وعدم الملك يقتضي عدم التصرف . فلذلك قال : **(وَالَّذِينَ يدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ)** .

فالله تعالى هو الرب العظيم ، الذي لا إله غيره، ولا ربّ سواه ، وهو صاحب الملك التام ، والقدرة الشاملة ، وكل ما عداه عبد له.

وفي مقابل ذلك تجد الأصنام عاجزة عن الخلق والإبداع ، وهي متصفة بصفات ثلاث ، كلها تدل على بطلان زعمها آلهة ، **أولاها** : أنها لا تسمع إن دعيت، **والثانية:** أنها لا تجيب ، ولو سمعت ، **والثالثة** : أنها تتبرأ يوم القيامة من الكفار.[2]

فالغرض من هذه الموازنة بيان تمام الملك لله تعالى الذي هو دليل على تمام التصرف فيما يملك . وبين عدم الملك الذي هو صفة كل ما يعبد من دون الله ، وهو بدوره دال على تمام عجز هذه المعبودات .

---

١) فاطر (١٣ ، ١٤) .

٢) التفسير الوسيط للزحيلي (٣/٢١٢٦) .

ثانيا [1]: تنقسم الموازنة باعتبار التوسع فيها وعدمه، أو باعتبار الإجمال والتفصيل إلى قسمين :

موازنة إجمالية ، وموازنة تفصيلية .

القسم الأول : الموازنة الإجمالية :

وهي التي توازن بين طرفين أو أكثر في أمرٍ ما دون التطرق إلي تفاصيلِ وجزئيات موضوع الموازنة .

كقوله تعالى : (أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) .[2] فإن المتأمل يجد الآية تلفت النظر إلى عدم صحة التسوية بين الإله الذي له مطلق القدرة والإرادة ، وبين تلكم المعبودات الخالية عنهما ، فهي في منتهى العجز ، وذلك أن الآيات من أول السورة إلى هنا أثبتت وجود الله سبحانه ووحدانيته، **أولاً** بأجرام السماوات ، **وثانياً** ببدن الإنسان ، **وثالثاً** بعجائب مخلوقات الحيوان ، **ورابعاً** بعجائب طبائع النباتات ، و**خامساً** بأحوال العناصر وأولها عنصر الماء، و**سادساً** بعالم البحار والمحيطات وما فيها من عجائب ، **وسابعاً** بالجبال والأنهار والطرق في الأراضي، **وثامناً** بالنجوم المضيئة في الظلمات .[3]

فقوله تعالى : **(أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ)** ، وارد في سياق الاستدلال على وجود الله ووحدانيته ، وذلك بتعديد بعض من مظاهر قدرته،

---

١) هذا هو ثاني الأقسام من حيث تعدد الاعتبارات وقد تقدم القسم الأول في (ص ٩) .

٢) النحل (١٧) .

٣) بمعناه من التفسير الوسيط للزحيلي (١٢٤٩/٢) .

ثم هنا تُعقَدُ موازنة – في ظاهر الأمر – بين من هذه صفاته وبين من يزعم المشركون إلاهيتهم ، ويخصّونهم بالعبادة . والآية تنكر عليهم التسوية بين من يخلق هذه الأشياء العظيمة ، وَيُسدي هذه النعم الجسيمة ، وبين تلكم الأصنام العاجزة ، فِي التسمية باسم الإله، و فِي التوجه إليها بالعبادة .

فالغرض من الموازنة نفي التسوية بين الإله الخالق ، الذي له مطلق القدرة على الإيجاد من العدم ، وبين سائر مايعبد من دون الله تعالى ؛ فهم المتصفون بالعجز المطبق ، والافتقار المخزي .

– الموازنة بين من يدخل النار ومن يدخل الجنة وأيهما خير من الآخر

كما في قوله تعالى : (**أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِناً يَوْمَ الْقِيامَةِ**) .[١]

أي: من كان مرجعه إلى النار، حاله يكون خيراً أم حال من يدخل الجنة.[٢]

ومعنى الآية : أفهذا العذاب وهذا البلاء ، الذي يلقاه هؤلاء المجرمون خير، أم جنات الخلد التي وعد المتقون ؟ لا يستويان أبدا .يقول الشيخ الخطيب[٣]:

---

١) فصلت (٤٠) .

٢) بحر العلوم للسمرقندي (٢٢٨/٣) .

٣) هو الشيخ عبد الكريم بن يونس الخطيب المولود سنة (١٩١٠م) ، من مصنفاته: "نشأة التصوف" و"التفسير القرآني للقرآن" و"قضية الألوهية بين الفلسفة والدين" وغير ذلك. ينظر : الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة «من القرن الأول إلى المعاصرين . ترجمة رقم (١٧٩٧) .

وفى النظم الذي جاء عليه القرآن هنا من الاختلاف بين المتعادلين ، ما يجعل هذا النظم على إيجازه يتسع للكثير من المعاني ، حيث يُرى فى المعادل الأول ، أن الذين يُلقَون فى النار لم يُلْقَوا فيها إلا بعد أن قطعوا طريقا طويلا مضنيا إليها ، تطلع عليهم فيه المخاوف من كل جانب . على حين يرى فى المعادل الآخر ، أن من يأتى آمنا يوم القيامة قد انتهى به هذا الأمن إلى أمن دائم ، وهو الجنة التي طابت لأهلها مستقرا ومقاما اهـ.[1]

والغرض من الموازنة نفي المساواة بين من يأتي يوم القيامة خائفا ، ومصيره إلى النار ، وبين من يأتي آمنا من أهوال القيامة ، ومصيره إلى جنة الخلد ، فهي موازنة بين المؤمن والكافر ، استرشادا بقوله تعالى :

(الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ). [2]

ومن هذا القسم أيضا – أعني الموازنة الإجمالية – قوله تعالى :

(أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ) [3]

والغرض من الموازنة الإنكار على المشركين إمعانَهم في تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم ، وإصرارَهم على الكفر ؛ ظنا منهم أنهم في مأمن من عذاب الله تعالى الذي أنزله بمن هم أقوى منهم شكيمة في العناد والكفر ، وأعتى منهم في أذى أنبيائهم ، ولكن الواقع أنهم أضعف ممن سبقهم ؛ فليحذروا نزول العذاب بهم .

---

١) التفسير القرآني للقرآن (١٣٢٥/١٢) .

٢) الأنعام (٨٢) .

٣) القمر (٤٣) .

القسم الثاني :

الموازنة التفصيلية : وهي التي تعنى بالتفاصيل والدقائق ، وتسرد صفات طرفي الموازنة أو أكثرها ، ليزداد الأمر تقريرا وثبوتا ، ولتتضح أبعاده في ذهن المخاطب .

ومن أمثلة الموازنة التفصيلية :

- قوله تعالى : **(الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ . وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ .....) الآيات (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ . وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ).**[1]

تتحدث الآيات عن صفات المنافقين بأنهم **(بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ)** ، أي أمرهم واحد في صفة النفاق ، بينهم ولاء فيه ، كقول الرجل لصاحبه أنت مني وأنا منك ، وفي هذا نفيٌ لكونهم من المؤمنين في حقيقة الأمر ، وتكذيبٌ لهم في حَلِفهم للمؤمنين بأنهم منهم ،وتقرير لقوله **(وَمَا هُمْ مِنْكُمْ)**[2]، ثم ذكر من حالهم ما يضاد حال المؤمنين فقال : **(يَأْمُرُونَ**

---

١) التوبة (٦٧ – ٧٢) .

٢) التوبة (٥٦) .

بِالْمُنْكَرِ) بالكفر والمعاصي، (**وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ)** الإيمان والطاعات . **(وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ**) لا يبسطونها بنفقة في حقٍ شَحّاً بالخيرات ، **(نَسُوا اللَّهَ)** تَرَكُوا اللَّهَ أَنْ يطيعوه وَيَتّبعوا أمره ، فتركهم الله من توفيقه وهدايته ورحمته. **(إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**) هُمُ الْمُفَارِقُونَ طَاعَةَ اللَّهِ الْخَارِجُونَ عَنِ الْإِيمَانِ بِهِ وَبِرَسُولِهِ .

فهَاتَانِ الْآيَتَانِ جيئ بهما لِبَيَانِ الْمُقَابَلَةِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنَ التَّضَادِّ فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ الَّتِي يَقْتَضِيهَا الْإِيمَانُ الَّذِي يَدَّعِيهِ الْمُنَافِقُونَ كَذِبًا وَتَقِيَّةً .

أما فيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْمُقَابَلَةِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُنَافِقِينَ فِي عَلَاقَةِ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ ؛ فخُلَاصَتُهُ:

أَنَّ الْمُنَافِقِينَ يُشْبِهُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فِي شَكِّهِمْ وَارْتِيَابِهِمْ وَنِفَاقِهِمْ وَآثَارِهِ مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، وَأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ فِي الْوِلَايَةِ الْعَامَّةِ مِنْ أُخُوَّةٍ وَمَوَدَّةٍ وَتَعَاوُنٍ وَتَرَاحُمٍ، حَتَّى شَبَّهَ النَّبِيُّ . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَمَاعَتَهُمْ بِالْجَسَدِ الْوَاحِدِ، وَبِالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا ، وَوِلَايَةُ النُّصْرَةِ فِي الدِّفَاعِ عَنِ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ ، وَالْمِلَّةِ وَالْوَطَنِ، وَإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَفِي آثَارِ ذَلِكَ مِنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ الْمُضَادِّ لِمَا عَلَيْهِ الْمُنَافِقُونَ

وَوَجْهُ الْمُقَابَلَةِ الضِّدْيَةِ بَيْنَ مَا هُنَا وَمَا فِي وَعِيدِ الْمُنَافِقِينَ قَبْلَهُ ظَاهِرٌ، فَالْجَنَّاتُ الَّتِي تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالْخُلُودُ فِيهَا مُقَابِلٌ لِنَارِ جَهَنَّمَ وَالْخُلُودِ فِيهَا، وَالْمَسَاكِنُ الطَّيِّبَةُ فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ مُقَابِلٌ لِلْعَذَابِ الْمُقِيمِ ، وَرِضْوَانُ اللهِ الْأَكْبَرُ لِلْمُؤْمِنِينَ مُقَابِلٌ لِلَعْنَةِ اللهِ لِلْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ ، إِذْ هِيَ الطَّرْدُ وَالْحِرْمَانُ مِنْ رَحْمَتِهِ الْخَاصَّةِ ، نَعُوذُ بِوَجْهِهِ.

(ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) أَيْ : ذَلِكَ الَّذِي ذَكَرَ مِنَ الْوَعْدِ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِالنَّعِيمِ الْجُسْمَانِيِّ وَالرُّوحَانِيِّ، هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ الَّذِي يُجْزَى بِهِ أُولَئِكَ الْمُؤْمِنُونَ الصَّالِحُونَ الْمُصْلِحُونَ دُونَ غَيْرِهِ مِنْ هَذِهِ الْحُظُوظِ الدُّنْيَوِيَّةِ الْخَسِيسَةِ الْفَانِيَةِ، الَّتِي يَتَكَالَبُ عَلَيْهَا الْكُفَّارُ وَالْمُنَافِقُونَ الْفَاسِدُونَ الْمُفْسِدُونَ ، وَإِنَّمَا هِيَ فِي نَظَرِ الْمُتَّقِينَ بُلْغَةُ عَامِلٍ ، وَزَادُ مُسَافِرٍ .[1]

ومن الموازنة التفصيلية قوله تعالى : **(أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ . أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ)** .[2]

سياق هذه الآيات يكشف عن صفات المؤمن والفاسق وما بينهما من التباين ، والتفاوت ، ثم بعد ذلك يُتوهم كون المؤمن الذي حكيت أوصافه الفاضلة ، كالفاسق الذي ذكرت أحواله القبيحة العاطلة .[3]

وجاءت الموازنة في هذه الآية لنفي المساواة بين المؤمن والكافر ، واستفيد ذلك النفي من همزة الاستفهام التي للإنكار ، ثم من قوله بعدُ : (لَا يَسْتَوُونَ) حتى يتحقق نفي المساواة على أبلغ وجه وآكدِه . والغرض من الموازنة نفي المساواة بين المؤمن والفاسق ؛ والمراد به الخارج عن الإيمان ، أي الكافر بشهادة السياق فقد قال بعدها **(وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ**

---

١) تفسير المنار (٤٧٢/١٠) .

(٢ السجدة (١٨ – ٢٠) .

٣) روح المعاني (١١ /١٣٠) .

كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ) .[1]

---

١) السجدة (٢٠) . وأما ما ذكر أن سبب نزولها ما أخرجه الواحدي وغيره من طريق ابن أَبِي لَيْلَى، عَنِ الْحَكَمِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَه الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ لِعَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – أَنَا أَحَدُّ مِنْكَ سِنَانًا، وَأَبْسَطُ مِنْكَ لِسَانًا، وَأَمْلأُ لِلْكَتِيبَةِ مِنْكَ ؛ فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: اسْكُتْ فَإِنَّمَا أَنْتَ فَاسِقٌ ، فَنَزَلَ: (أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ) قَالَ ابن عباس: يَعْنِي بِالْمُؤْمِنِ عَلِيًّا ، وَبِالْفَاسِقِ الْوَلِيدَ بْنَ عُقْبَةَ. (أسباب النزول للواحدي ٣٥٠) ؛ فمردود رواية , لأن في السند محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى وهو ضعيف . (تقريب التهذيب ٥٠٠/١) لكن روى ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٢٤/٦٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وأورده الذهبي في سير أعلام النبلاء (٤١٥/٣) ، والسيوطي في الدر المنثور(٥٣٣/٦) أن الفاسق هو عقبة بن أبي معيط لسباب كان بينه وبين علي بن أبي طالب رضي الله عنه . وقد قتله النبي صلى الله عليه وسلم في بدر صبرا .

أقول : وهذا هو الأوفق بنظم الآيات ، وليس الوليد بن عقبة لأنه معدود في الصحابة , فإن قيل إن الوليد هو من نزل فيه قوله تعالى : (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ) (الحجرات : ٦) فهو فاسق بنص الآية .

قلت : قد اتفق المفسرون على أن الوليد فعل ما فعل في أمر صدقات بني المصطلق لأنه ظن أنهم يريدون به شرا , فعاد إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بعزمهم على قتله , وليس في الروايات ما يقتضي أنه تعمد الكذب . غاية الأمر أنه أخطأ في ظنه , قال الإمام الفخر الرازي : (إن إطلاق لفظ الفاسق على الوليد شيء بعيد لأنه توهم وظن فأخطأ ، والمخطئ لا يسمى فاسقا) . مفاتيح الغيب (٩٨/٢٨) , وقال ابن عاشور : لو كان الوليد فاسقا لما ترك النبي صلى الله عليه وسلم تعنيفه واستتابته . (التحرير والتنوير ٢٢٩/٢٦ بتصرف) والله أعلم .

وغير ذلك كثير من أمثلة هذا القسم في مواضع شتى من القرآن الكريم .

كالموازنة بين سوء عاقبة الفجار ، وحسن عاقبة الأبرار . في قوله تعالى في سورة المطففين :

(كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ .وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ. كِتَابٌ مَرْقُومٌ ... كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ..... الآيات)[1]

والموازنة بين نعيم المؤمنين وعذاب الكافرين كما في قوله تعالى : [2]

(هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ .وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ . عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ . تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً . تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ. لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ.لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ . وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ . لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ. فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ . لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً . فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ . فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ .وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ، وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ .وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ) .

---

١) المطففين (٧-٢١) . وينظر في هذه الموازنة التفسير الوسيط للدكتور محمد سيد طنطاوي (٣١٦/١٥) .

٢) سورة الغاشية (١ - ١٦) .

ثالثا[1] : تنقسم الموازنة باعتبار العموم و الخصوص إلى موازنة عامة وموازنة خاصة

أ – الموازنة العامة :

وهي التي لا تعرض لأشخاص أوحوادث معينة بل تسوق الكلام في معرض العموم .

فتستغرق جميع من يصلح للدخول تحتها :

كالموازنة بين أهل الإيمان وأهل الكفر ، في قوله تعالى : (أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)[2] أي أفمن كان ميتا بالكفر والجهل ، فأحييناه بالإيمان ، وجعلنا له نورا يضيء له طريقه بين الناس ، وهو نور القرآن المؤيد بالحجة والبرهان ، وهو أيضا نور الهدى والإيمان ،كمن مثله مثل السائر في الظلمات : ظلمة الليل ، وظلمة السحاب ، وظلمة المطر ، وهو ليس بخارج منها ، أي لا يهتدي إلى مَنْفَذ ولا مَخْلَصٍ مما هو فيه.[3]

والموازنة بين حال الإنسان حين مساسه بالضر وحين كشفه عنه . كقوله تعالى :

---

١) هذا هو ثالث الأقسام من حيث تعدد الاعتبارات , وقد تقدم القسم الأول في ص (٩) ، والثاني في ص (١٧) .

٢) الأنعام (١٢٢) .

٣) التفسير المنير للزحيلي (٨ /٢٩) .

(وَإِذا أَنْعَمْنا عَلَى الْإِنْسانِ أَعْرَضَ وَنَأى بِجانِبِهِ وَإِذا مَسَّهُ الشَّرُّ كانَ يَؤُساً)[١] .

والمعنى : (وإِذا أَنْعَمْنا عَلَى الْإِنْسانِ) بالصحة والسعة (أَعْرَضَ) عن ذكر الله ، كأنه مستغن عنه ، مستبدّ بنفسه (وَنَأى بِجانِبِهِ) تأكيد للإعراض ، لأنّ الإعراض عن الشيء أن يوليه عرض وجهه. والنأْيُ بالجانب : أن يلوى عنه عطفه ويوليه ظهره ، وأراد الاستكبار، لأنّ ذلك من عادة المستكبرين (وَإِذا مَسَّهُ الشَّرُّ) من فقر أو مرض أو نازلة من النوازل (كانَ يَؤُساً) شديد اليأس من روح الله .[٢]

فهو إِنْ فَازَ بِالنِّعْمَةِ وَالدَّوْلَةِ اغْتَرَّ بِهَا فَنَسِيَ ذِكْرَ اللَّهِ ، وَإِنْ بَقِيَ فِي الْحِرْمَانِ عَنِ الدُّنْيَا اسْتَوْلَى عَلَيْهِ الْأَسَفُ وَالْحُزْنُ وَلَمْ يَتَفَرَّغْ لِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى فَهَذَا الْمِسْكِينُ مَحْرُومٌ أَبَدًا عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ . [٣]

ومثله قوله تعالى :

(وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ)[٤] .

فالآية – بعد قطع النظر عن سبب نزولها ، إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب – عامة يرادبها جنس الإنسان ؛ إذ علاقة كثير من الناس مع الله تعالى مبناها على الانتهازية والمنفعة وحب المصلحة ، فهم بخير ما

---

١) الإسراء (٨٣) .
٢) الكشاف (٦٨٩/٢) .
٣) مفاتيح الغيب (٣٨٩/٢١) .
٤) فصلت (٥١) .

داموا في خير وعافية ، بل ينسون مُولِي النعمِ ، ويعرضون عنه مستكبرين ، فإذا أصابهم ضر أطالوا الدعاء وجأروا بالشكوى لرفع الضر عنهم .

– **والموازنة في العمل** بين من يريد الحياة الدنيا ويعمل لها وبين من يريد الآخرة ويعمل لها وهو مؤمن كما في قوله تعالى : **(مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا . وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا)** [١] .

ومثله قوله تعالى : **(مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَّصِيبٍ)** [٢] .

وكالموازنة بين المؤمنين وبين المنافقين كما مر [٣] في سورة التوبة في قوله تعالى : **(الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ ..... وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ .....)** [٤] .

وكما هو ملاحظ فإن طرفي الموازنة في الأمثلة السابقة قد جاء إما معرفا بـ ال التي للجنس ، أو موصولا ، وهما من صيغ العموم .

---

١) الإسراء (١٨ ، ١٩) .

٢) الشورى (٢٠) .

٣) تراجع في الموازنة التفصيلية ص (١٩) من هذا البحث .

٤) التوبة (٦٧ – ٧١) .

ب – الموازنة الخاصة :

وهي التي تكون في حادثة بعينها ، أو موطن خاص .

كالموازنة بين مسجد النبي صلى الله عليه وسلم – على القول المختار [١]– وبين مسجد المنافقين (الضرار) .

في قوله تعالى :

(وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ . لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ) [٢] .

فإن قيل :لم قال الله تعالى (أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ) مع أن المفاسد الأربع المذكورة بقوله : ضرارا ، وكفرا ،وتفريقا ، وإرصادا ، تمنع جواز قيامه فى الآخر ؟

---

١) قاله ابن عمر ، وزيد بن ثابت ،وأبو سعيد الخدري ، وسعيد ابن المسيب وغيرهم ، وهو اختيار الطبري ، لصحة الأخبار به ، وقيل إن الموازنة كانت بين مسجد قباء الذي بناه رسول الله صلى الله عليه ، وبين مسجد الضرار الذي بناه المنافقون في قباء أيضا ، قاله ابن عباس ، وعطية العوفي ، وابن بريدة ، وعروة بن الزبير ، وسعيد بن جبير , ورجحه الزمخشري بأن الموازنة بين مسجدي قباء أوقع . وهو الأشهر والأوفق للقصة ، فالموازنة بينهما أولى من الموازنة بين ما بقباء – أي مسجد الضرار – وما بالمدينة . وفي قول ثالث إنه لا يمتنع أن يراد بالمسجد الذي أسس على التقوى ؛ مسجد المدينة ومسجد قباء ، فإذا كان مسجد قباء أسس على التقوى من أول يوم ؛ فمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق الأَوْلى .

٢) التوبة (١٠٧، ١٠٨) .

والجواب : أن الكلام مبنى على النزول والمعنى : لو فرضنا جواز القيام فى مسجد الضرار لكان القيام فى مسجد التقوى أحق وأولى ، لكونه على قاعدة محكمة فكيف والقيام فيه باطل لكونه مبنيا لأغراض فاسدة. [١]

وسيأتي الكلام على صيغة التفضيل وهل هي للتفضيل دائما وما ينتج عن ذلك من إشكال وكيفية حله .

وكالموازنة بين حال المتقين وحال المجرمين في سوق كل منهم إلى مصيره ومأواه بعد الحساب ؛ كما في قوله تعالى : (**يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا * وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا**) [٢] وقد تقدم الكلام عن هذه الآية في الموازنة الغير الصريحة .

والموازنةِ بين موقف المؤمنين وبين موقف المنافقين إزاء وعد الله سبحانه وتعالى ورسوله :

كما في قوله تعالى :**(وَإِذْ يَقُولُ الْمُنافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُوراً)**[٣] وقوله **(وَلَمَّا رَأَ الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزابَ قالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَما زادَهُمْ إِلاَّ إِيماناً وَتَسْلِيماً)**[٤]

حيث توازن الآيات بين موقف ومقالة كل من المنافقين والمؤمنين حين جاءت الأحزاب إلى المدينة بغرض القضاء على الإسلام وأهله ، جاءهم من

---

١) روح البيان (٥٠٧/٣)

٢) مريم (٨٥ ، ٨٦) .

٣) الأحزاب (١٢) .

٤) الأحزاب (٢٢) .

فوقهم أهل نجد يقودهم عيينة بن حصن الفزاري[1] ، وجاءتهم من أسفل منهم قريش على رأسهم أبو سفيان ، وواجهتهم قريظة بعد مظاهرتهم للمشركين ونقضهم لعهدهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول الطبري : وَعَظُمَ عِنْدَ ذَلِكَ الْبَلَاءُ، وَاشْتَدَّ الْخَوْفُ، وَأَتَاهُمْ عَدُوُّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ، وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ، حَتَّى ظَنَّ الْمُسْلِمُونَ كُلَّ ظَنٍّ ، وَنَجَمَ النِّفَاقُ مِنْ بَعْضِ الْمُنَافِقِينَ ، حَتَّى قَالَ مُعَتِّبُ بْنُ قُشَيْرٍ أَخُو بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ: كَانَ مُحَمَّدٌ يَعِدُنَا أَنْ نَأْكُلَ كُنُوزَ كِسْرَى وَقَيْصَرَ، وَأَحَدُنَا لَا يَقْدِرُ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى الْغَائِطِ، وَحَتَّى قَالَ أَوْسُ بْنُ قَيْظِيٍّ أَحَدُ بَنِي حَارِثَةَ بْنِ الْحَارِثِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ بُيُوتَنَا لَعَوْرَةٌ مِنَ الْعَدُوِّ، وَذَلِكَ عَنْ مَلَإٍ مِنْ رِجَالِ قَوْمِهِ، فَأْذَنْ لَنَا فَلْنَرْجِعْ إِلَى دَارِنَا، وَإِنَّهَا خَارِجَةٌ مِنَ الْمَدِينَةِ، .....وظَنَّ الْمُنَافِقُونَ أَنَّ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم وَأَصْحَابَهُ يُسْتَأْصَلُونَ) وأَيْقَنَ الْمُؤْمِنُونَ أَنَّ مَا وَعَدهُمُ اللَّهُ حَقٌّ أَنَّهُ سَيُظْهِرُ دينه عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ".

أخرج الطبري وابن أبي حاتم عَنْ قَتَادَةَ ، قَالَ: قَالَ ذَلِكَ أُنَاسٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ: قَدْ كَانَ مُحَمَّدٌ يَعِدُنَا فَتْحَ فَارِسَ وَالرُّومِ وَقَدْ حُصِرْنَا هَاهُنَا، حَتَّى مَا يَسْتَطِيعَ أَحَدُنَا أَنْ يَبْرُزَ لِحَاجَتِهِ، مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا .[2]

وفي المقابل كان موقف المؤمنين على النقيض من المنافقين فقد وصف القرآن حالهم بقوله:

---

١) هو الصحابي عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري. أسلم بعد الفتح. وقيل: قبله ، وهو من المؤلفة قلوبهم . ينظر الاستيعاب (١٢٤٩/٣) .

٢) (الطبري ٣٨/١٩) , تفسير ابن أبي حاتم (٣١٢٠/٩) .

(وَلَمَّا رَأَ الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزابَ قالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَما زادَهُمْ إِلاَّ إِيماناً وَتَسْلِيماً) [1]

يَقُولُ الإمام الطبري : وَلَمَّا عَايَنَ الْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ جَمَاعَاتِ الْكُفَّارِ قَالُوا – تَسْلِيمًا مِنْهُمْ لِأَمْرِ اللَّهِ ، وَإِيقَانًا مِنْهُمْ بِأَنَّ ذَلِكَ إِنْجَازُ وَعْدِهِ لَهُمُ الَّذِي وَعَدَهُمْ بِقَوْلِهِ : **(أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ)** [2] – هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، فَأَحْسَنَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ مِنْ يَقِينِهِمْ، وَتَسْلِيمِهِمْ لِأَمْرِهِ الثَّنَاءَ، فَقَالَ: وَمَا زَادَهُمُ اجْتِمَاعُ الْأَحْزَابِ عَلَيْهِمْ إِلَّا إِيمَانًا بِاللَّهِ وَتَسْلِيمًا لِقَضَائِهِ وَأَمْرِهِ، وَرَزَقَهُمْ بِهِ النَّصْرَ وَالظَّفَرَ عَلَى الْأَعْدَاءِ .[3]

والغرض من الموازنة بين المؤمنين والمنافقين بيان الفرق بين حال كل منهما حين اشتداد الأمر ، فالفريقان حين رأوا الأحزاب بلغ بهم القلق والفَرَقُ مبلغه حتى زاغت أبصارهم ، وبلغت قلوبُهم حناجرَهم ، وزُلزِل المؤمنون منهم زلزالا شديدا كما حكى القرآن عنهم ، لكنهم لم يهنوا ، ولم يضعفوا ، ولم ترهبهم كثرة العدوّ ، ولم يفزعهم الموت المحدق بهم من كل مكان ، وأما المنافقون فقد نجم النفاق المستتر في قلوبهم ، وشكّوا في وعد الله لعباده المؤمنين بالنصر وإظهار الدين .

---

١) الأحزاب (٢٢) .

٢) البقرة (٢١٤) .

٣) الطبري (٥٩/١٩) .

وشتّان بين الحالين فالمنافقون كان كلامهم شكا وارتيابا وإيضاعا ، والمؤمنون كانت مقالتهم تسليما لأمر الله تعالى ، وثقة بموعوده لهم ، فالله تعالى لا يخلف الميعاد .

وكالموازنة بين حال المؤمنين وحال المنافقين عند الصراط كما في قوله تعالى :

(يَوْمَ تَرَى المُؤْمِنِينَ والْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ اليَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ . يَوْمَ يَقُولُ المُنَافِقُونَ والْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا ورَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ العَذَابُ) [1].

ذكر المفسرون أن الآيات تصف حال المؤمنين والمنافقين حين الانصراف من الموقف وقبل جواز الصراط ، فالمؤمنون يجعل الله لهم نورا حسيا يضيء بين أيديهم ، أو نورا مجازيا ، والمراد به مايكون سببا للنجاة من علم أو عمل مدون في كتبهم ، لقوله تعالى : **(فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ)** [2] ، واختار الطبري القول الثاني ، وعلل له بأن الله تعالى أخبر عن النور بأنه يسعى أمامهم وبأيمانهم دون الشمائل ، وضياء المؤمنين الذين يؤتونه يضيئ لهم جميع ما حولهم ، وعليه يكون المعنى : وكُلّاً وعد الله الحسنى

---

١) الحديد (١٢ ، ١٣) .

٢) الحاقة (١٩)، الانشقاق (٧) .

يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى ثواب إيمانهم وعملهم الصالح بين أيديهم ، وفي أيمانهم كتب أعمالهم تتطاير . [1] .

وأما المنافقون لما رأوا المؤمنين يُسرَع بهم إلى الجنة فإنهم يقولون لهم **(انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ)** أي انتظرونا نستصبح من نوركم بشعلة ، وهذا على قراءة **(انظُرُونَا)** بهمزة الوصل ، أما على القراءة بقطع الهمزة وكسر الظاء المعجمة فالمعنى : أمهلونا وأخِّرونا ، واختار الإمام الطبري وكثير من المفسرين حمل الآية على القراءة الأولى لأنه المعروف من كلام العرب إذا أريد به الانتظار قيل **(انظُرُونَا)** ، ويكون طلبهم الانتظار رجاء شفاعة المؤمنين لهم ، أو رجاء دخولهم الجنة معهم . فيقال لهم – تهكما – ارجعوا من حيث جئتم ، إما إلى الدنيا أو إلى الموقف حيث حصّل المؤمنون نورهم ، واطلبوا لأنفسكم هناك نورا .

والغرض من الموازنة : التطمينُ والبشرى وإدخال الإيناس على المؤمنين ليفرحوا بما أُعِد لهم من السعادة والفوز تعظيما لشأنهم ، والتنديدُ والتقريع والإنذار للمنافقين حطاً من شأنهم ومهانة لهم .

ومن الموازنات الخاصة ما ورد في قوله تعالى :

(فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى .لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى . الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى . وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى. الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى. وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى. إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى . وَلَسَوْفَ يَرْضَى)[2]

---

١) الطبري (٣٩٩/٢٢ بتصرف)

٢) الليل (١٤-٢١) .

فهذه موازنة بين أتقى الناس وأفجر الناس . فالآيات على قول أكثر المفسرين نزلت في أبي جهل بن هشام ، وفي أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

ونحو ذلك كثير في القرآن الكريم .

رابعا : أقسام الموازنة من حيث التشابه وعدمه بين طرفيها إلى :

١- موازنة بين متشابهين : مثل قوله تعالى :

(تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ .....) [١]

فالموازنة هنا بين موسى وعيسى عليهما السلام بذكر أخص ما يميز كلا منهما من الصفات .وهما بطبيعة الحال مشتركان في صفة النبوة ، وكونهما من أولي العزم من الأنبياء . غير أن أهم خصائص سيدنا موسى تكليم الله تعالى له دون واسطة، وأهم خصائص سيدنا عيسى إحياء الموتى بإذن الله.

٢- موازنة بين متضادين مثل :

(الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ ... وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ...) [٢] .

٣- موازنة بين متناقضين :

مثل قوله تعالى :

---

١) (البقرة ٢٥٣) .

٢) (التوبة ٦٧-٧١)

(أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ) [1]. فالإله الحق هو من يخلق ، وهذا هو المستقيم في نظر العقلاء ، ومن لا يخلق فليس بإله ؛وإن ادعى المدعون .

وقوله : (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)[2] .وسيأتي لهذه الموازنات مزيد تفصيل في مواضعها من هذا البحث .

---

١) النحل (١٧) .

٢) الزمر (٩) .

خامسا : أقسام الموازنة من حيث الإفراد أو التعدد :

أ) موازنة بين طرفين ، وهذا القسم هو الغالب وروداً في القرآن الكريم .

كقوله تعالى : **(أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ)**[١] ، وقوله **(أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ)** [٢]، **وقوله : (وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ)**[٣]

ب) موازنة بين أطراف متعددة ، وهو قليل .

كقوله تعالى في سورة الواقعة : **(وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً * فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ * وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ * وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ)** إلى قوله تعالى :**(وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ * فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ* وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ * لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ)**[٤] .

فالموازنة هنا بين أطراف متعددة ، بين أصحاب الميمنة وأصحاب المشئمة والسابقين ، والغرض بيان منزلة وجزاء كل طرف .

وكالموازنة بين أحوال الناس عند خروج الروح كما في قوله تعالى : **(فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ * وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ* وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ * فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ * تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ* فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ * وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ**

---

١) النحل (١٧) .

٢) القمر (٤٣) .

٣) البقرة (٢١٧) ,

٤) الواقعة (الآيات من ٨ إلى ٤٤)

أَصْحَابِ الْيَمِينِ * فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ * فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ * وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ)[1].

فالآيات هنا في ختام السورة قد عادت للموازنة بين السابقين ، وأصحاب اليمين ، وأصحاب الشمال في حال خروج الروح ، كما وازنت بينهم أول السورة في الجزاء الأخروي ، والمنزلة التي ينزلهم الله إياها ، فالكلام من باب رد العجز على الصدر . والضمير فى (**بَلَغَت**) ، يعود إلى الروح ، وهى وإن لم يسبق لها ذكر ، فسياق الآيات يدل عليها ، إذ الآيات تعالج قضية البعث التي ينكرها المشركون ، وخروج الروح بالموت هو أول منزلة قبل البعث ، الذي يقع بعده حساب الناس وجزاؤهم .

والغرض من الموازنة بيان أثر العمل عند خروج الروح .

جـ) الموازنة بين طرفين ؛ أحدهما مفرد والآخر متعدد ، وهو أقل من سابقه .

كما في قوله تعالى : (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ) [2] .

فههنا موازنة بين طرفين :

الأول هو : قتال المسلمين المشركين في الشهر الحرام ، والملاحظ أنه أمر واحد .

---

١) الواقعة (٨٣-٩٤)

٢) البقرة (٢١٧) .

والطرف الثاني هو :

١-الصد عن سبيل الله الذي هو الإسلام (أي منع من يريد الدخول في الإسلام من ذلك).

٢- والصد عن المسجد الحرام

٣- وإخراج المسلمين من ديارهم وأموالهم في مكة

٤- والكفر بالله تعالى .

وهي أمور متعددة

والغرض بيان بشاعة ما ارتكبه المشركون ضد المسلمين من أمور تعمدوها، وتواطأوا عليها بأجمعهم ، في مقابل أمر فعله بعض المسلمين عن اجتهاد أخطأوا فيه حين ظنوا انقضاء الشهر الحرام ، والحال أنه كان آخر يوم فيه.

المطلب الثاني [1]: ماكان على صورة الموازنة و ليس منها:

وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم لها صورة الموازنة بين ذي العزة والجلال وبين غيره من المخلوقين ، ممن ادعى البعضُ إلاهيتهم ، ومن ذلك الموازنة في بعض الصفات كالقدرة والعلم ، أو الموازنة في القدرة المطلقة له سبحانه وبين العجز المخزي لغيره من الآلهة المزعومة ، وأغلب هذه الموازنات تأتي بأفعل التفضيل ، ومن المعلوم أن أفعل التفضيل موضوع غالبا لاشتراك طرفين في أمر وزيادة أحدهما على الآخر في أصل الفعل ، فكيف يسوغ ذلك في حق الباري سبحانه وتعالى ؟ وهل تصح الموازنة على هذه الصورة ؟ وإن كانت لا تصح فكيف يوجه ما جاء منها في القرآن الكريم؟

الحق أن هذه الموازنات ليست على بابها ، إذ لا موازنة في أي شيء أو بأي وجه بين الباري سبحانه وبين أحد غيره كائنا ما كان ، لكنها قد تكون لمطلق الوصف ، أو تأتي على سبيل الفرض ، أو التجوز ، وذلك متسامح فيه في باب المناظرة ، إلزاما للخصم ، وإقامة للحجة عليه ، فكم من فروض غير صحيحة لكنها قد ترتكب في باب الجدل ، مجاراة للخصم وقطعا للمعاند وإفحامه .

ومن هذا الباب :

– قوله تعالى حكاية لقول يوسف عليه السلام لصاحبيه في السجن : **(أَأَرْبابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْواحِدُ الْقَهَّارُ)** [2]. فلا موازنة بين المولى

---

١) تقدم المطلب الأول في ص (٩) من البحث وعنوانه : أقسام الموازنة .

٢) يوسف (٣٩) .

جل جلاله وبين هاتيكم الآلهة المزعومة ، لكن على فرض أن في هذه المعبودات من دونه تعالى خيرا ؛ فهي خير أم الله الواحد القهار ؟ وشتان بين هذه المعبودات المتعددة المقهورة ، وبين الإله الواحد القهار .

وكذلك قوله تعالى : (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) [١] فـ (أَعْلَمُ) جاء بصيغة التفضيل ، لكنه ليس على بابه ؛ لأنه إذا كان على بابه تكون موازنة بين علمه تعالى وعلم غيره ، وعلمُ غيره لَا يوزن بعلمه تعالى ، إذ علم الغير نسبي ، وعلم الله تعالى علم إحاطة شاملة ، فهو مطلق ، ومعنى " ربك أعلم " ، أنه سبحانه وتعالى يعلم من يضل ، ومن يهتدي ، علما ليس فوقه علم ولا يصل إليه علم كائنا لمن كان[٢]

وقوله : (قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى، آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ)[٣] . فقوله تعالى (الله خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ) إلزام لهم وتهكم بهم وتسفيه لرأيهم ، إذ من المعلوم أن لا خير فيما أشركوه رأساً حتى يوازن بينه وبين من هو مبدأ كل خير[٤] .

---

١) الأنعام (١١٧) .
٢) زهرة التفاسير (٢٦٤٢) .
٣) النمل) ٥٩) .
٤) البيضاوي (٤٤١/٤) .

يقول الخازن : والمعنى آلله خير لمن عبده أم الأصنام لمن عبدها فإن الله خير لمن عبده وآمن به لإغنائه عنه من الهلاك ، والأصنام لم تغن شيئاً عن عابديها عند نزول العذاب [1] .

فالحاصل أنه لا يستقيم في منطق العقلاء عقد موازنة بين المولى سبحانه وتعالى وبين من لا يرتقي أن يكون شبيها مزعوما له تعالى فضلا عن أن يكون شريكا له ، لكن هذه عادة القرآن في مثل هذه المواطن أن يساق مثل هذا الكلام على سبيل الفرض إلزاما للخصم ، أو على سبيل التهكم والسخرية من أفعال المشركين كما هو الحال في هذه الآية .

---

١) الخازن (١٥٣/٥) .

المطلب الثالث : أساليب الموازنة

من اللافت للانتباه عدم مجيئ الموازنة في القرآن الكريم على نسق واحد ؛ بل تتنوع أساليبها مناسبة للسياق الذي وردت فيه ، وليتحقق التفنن الذي يمنع من السآمة ، ويحقق النشاط لدى السامع ، وإذا كان هذا من محسنات كلام البلغاء ؛ فخير الكلام به أولى .

وفيما يلي بعض من أساليب الموازنة :

١- ضرب المثل

من المعلوم المشاهد أن مايدرك بالحِسّ يكون أسهلَ مأخذا وأقربَ للفهم ، ويشترك في إدراكه ولو بدرجةٍ ما عامة البشر ، بخلاف المعقولات فإن إدراكها مرتبط غالبا بحظ الإنسان من العلم ، فلأجل هذا كان تقريب المعاني المعقولة بتصويرها في صورة الحسيات عن طريق ضرب الأمثال بالحسيات ، ففيها زيادة إفهام وتذكير وتصوير للمعانى.

يقول أبو حيان :

ضرب المثل يرجى منه تفهم وتصور الْمَعَانِي الْمُدْرَكَةِ بِالْعَقْلِ، فَمَتَى أُبْرِزَتْ بِالْمَحْسُوسَاتِ لَمْ يُنَازَعْ فِيهَا الْحِسُّ وَالْخَيَالُ وَالْوَهْمُ، وَانْطَبَقَ الْمَعْقُولُ عَلَى الْمَحْسُوسِ، فَحَصَلَ الْفَهْمُ وَالْوُصُولُ إِلَى الْمَطْلُوبِ[1].

ويقول الحكيم الترمذي :

الأمثال نموذجات الحكمة لِما غَابَ عَن الأسماع والأبصار؛ لتهدي النُّفُوس بِمَا أدركت عيَانًا ، فَمن تَدْبِير الله لِعِبَادِهِ أَن ضرب لَهُم الْأَمْثَال من أنفسهم

---

١) (البحر المحيط ٤٣٣/٦)

لحاجتهم إِلَيهَا؛ ليعقلوا بهَا فيدركوا مَا غَابَ عَن أَبْصَارهم وأسماعهم الظَّاهِرَة ، فَمن عقل الْأَمْثَال سَمَّاهُ الله تَعَالَى فِي كِتَابه عَالما لقَوْله تَعَالَى : **(وَتلك الْأَمْثَال نَضْرِبهَا للنَّاس وَمَا يَعْقِلهَا إِلَّا الْعَالمُونَ)**[1]

و تأتي الأمثال في القرآن الكريم لتقرير القضايا ، وذلك بتقريبها إلى الأفهام ؛ ونقلها من نطاق المعقولات إلى حيز المحسوسات .

ولما كان أمر الموازنة يترتب عليه تفضيل أحد الطرفين على الآخر ، أو ذكر أحد الطرفين بأهم خصائصه ؛كان لضرب المثل مدخل عظيم في تقرير وتثبيت أمر هذه الأفضلية ؛ فكان ضرب المثل أحد أساليب

الموازنة في القرآن الكريم . وقد شغلت الأمثال في النظم القرآني حيّزا ليس باليسير .

وفيما يلي نماذج قرآنية للموازنة عن طريق ضرب الأمثال :

أ) – الموازنة بين الحق في ثباته واستمراره ، والباطل في زواله واضمحلاله :

قال تعالى : **(أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ)**[2] .

---

١) العنكبوت (٤٣) . وينظر : الأمثال من الكتاب والسنة (ص ٢٥) ، للحكيم الترمذي المتوفى: نحو ٣٢٠هـ .

٢) الرعد (١٧) .

يقول الإمام الطبري : هذا مثل ضربه الله للحق والباطل، والإيمان به والكفر.

فمثل الحق في ثباته والباطل في اضمحلاله ، مثل ماء أنزله الله من السماء إلى الأرض فاحتملته الأودية بملئها ، الكبير بكبره ، والصغير بصغره ، فاحتمل السيل الذي حدث عن ذلك الماء الذي أنزله الله من السماء، زبدًا عاليًا فوق السيل.

فهذا أحدُ مثلي الحقّ والباطل، فالحق هو الماءُ الباقي الذي أنزله الله من السماء ، والزبد الذي لا ينتفع به هو الباطل.

والمثَل الآخر: فضة أو ذهب ونحوهما يوقد عليها الناس في النار طلب حلية يتخذونها أو متاع ، وذلك من النحاس والرصاص والحديد ، يوقد عليه ليتخذ منه متاع ينتفع به ، ومما يوقدون عليه من هذه الأشياء زبد مثله ، يعني: لا ينتفع به ويذهب باطلا كما لا ينتفع بزبد السَّيل ويذهب باطلا.

ومعنى الكلام : ومما يوقدون عليه في النار زبدٌ مثلُ زبد السيل في بطول زبده ، وبقاء خالص الذهب والفضة.

فكما مثَّل الله مثلَ الإيمان والكفر، في بُطُول الكفر وخيبة صاحبه عند مجازاة الله ، بالباقي النافع من ماء السيل وخالص الذهب والفضة ، كذلك يمثل الله الحق والباطل ، فأما الزبد الذي علا السيل والذهب والفضة والنحاس والرصاص عند الوقود عليها ، (وهو الخَبَث) فيذهب بفعل من يعالجه من الصنّاع ، وأما مايحتمله السيل من الزبد فيذهب بدفع الرياح وقذف الماء به ، وتعلُّقه بالأشجار وجوانب الوادي ، وأما ما ينفع الناس من

الماء والذهب والفضة والرصاص والنحاس ، فالماء يمكثُ في الأرض فتشربه ، والذهب والفضة تمكث للناس[1] .

والغرض من الموازنة والعلم عند الله : بيان حال الناس إزاء نزول القرآن الذي هو هداية للناس ، فهم إما منتفع بهذا الهدي حين يسمعه ويعقله ، وكلٌ ينتفع على قدر إيمانه ؛ كما يمر السيل على الأودية فتأخذ منه بقدر سِعتها ، الكبير على قدره والصغير على قدره ، وإما مستمع للقرآن لكنه ليس سماع انتفاع ؛ بل منهم من يلحد في آياته كقولهم :

(هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ)[2] ، ومنهم من أخبر الله عنهم بتتبعهم المتشابه كما في قوله تعالى :**(فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ)**[3] ، ومنهم من يعرض عن القرآن أصلا ؛ فهو كافر به ابتداءً .فهؤلاء مثل الزبد الذي يقذفه السيل عند جريانه في الأودية ، فيذهب هذا الزبد ويفنى ولا ينتفع به ، ومِثْله باطل المنافقين والكفار يذهب زاهقا مضمحلا . وقد وضح النبي صلى الله عليه وسلم ذلك في قوله :

(مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الهُدَى وَالعِلْمِ، كَمَثَلِ الغَيْثِ الكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ، قَبِلَتِ المَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الكَلَأَ وَالعُشْبَ الكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ، أَمْسَكَتِ المَاءَ، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى ، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لاَ تُمْسِكُ مَاءً وَلاَ تُنْبِتُ كَلَأً،

---

١) بتلخيص من جامع البيان (٤٠٨/١٦) .

٢) سبأ (٧) .

٣) آل عمران (٧) .

فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ) [١] .

ب) – الموازنة بين المؤمن والمنافق في الإخلاص والرياء عند التصدق بالمال :

قال تعالى : **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ . وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)**[٢] .

جـ – الموازنة لنفي المساواة بين الإله القادر المختار وبين الأصنام التي قُدَّت من أحجار

يقول ربنا تبارك وتعالى :

(ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) [٣] .

---

١) صحيح البخاري ، باب فضل من علِم وعلَّم (٢٧/١) .

٢) البقرة (٢٦٤، ٢٦٥) .

٣) النحل (٧٥) .

والغرض من الموازنة – على قولٍ – الاستدلالُ بامتناع الاشتراك والتسوية – ببديهة العقل – بين العبد المملوك وبين الحر مع اشتراكهما في العبودية – لله تعالى– والمخلوقية ؛ على امتناع التسوية بين الأصنام التي هي أعجز المخلوقات وبين الله الغني ذي القدرة المطلقة .

ويقول : (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)[1]

ففي هذا المثل – الثاني – موازنة بين حال رجلين أحدهما أخرس لا يستطيع أن ينطق ، ولا يجيب إذا دعاه الداعي ، فهو في الأغلب ناقص المدارك ؛ قد سدت عليه مسالك العلم ولا يحس بمعنى الأشياء ، وهو حمل وثقل على القريب أو من له به صلة ، ومن كانت هذه حاله لا ينفع الناس ، وهو مع ذلك ناقص المواهب حيثما وُجِّه (لا يَأتِ بِخَيْر) ، وثاني الرجلين الموازَن بينهما؛ رجل فيه حكمة جعلته يلى بعض الأمر، وهو متصف بصفتين جليلتين ؛ الأولى: آمر بالعدل – وفيها دلالة على أنه عادل في نفسه – والثانية : مستقيم النفس ، مخلص القلب ، ذو طريق حسن فـ (هَلْ يسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مسْتَقِيم) ؟ الاستفهام هنا لإنكار المساواة بينه وبين الرجل الأول . بمعنى أنهما لا يستويان ، فكيف تسوي عقولكم – في العبادة – بين المولى – سبحانه وتعالى – الفاعل المختار ، وبين تلكم الأصنام التي قُدَّت من الأحجار .

---

١) النحل (٧٦) .

د – الموازنة بين المؤمن في إيمانه وعمله الصالح ، وبين الكافر في كفره وعمله الخبيث.

يقول الله تبارك وتعالى :

(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ . تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ. وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ)[1] .

فقد ضرب الله تعالى مثلا لإيمان المؤمن متمثلا في كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) ؛ وثباتها وتجذرها في قلبه ، تصديقا واعتقادا ، ورفعها لعمله إلى السماء ؛ فبدونها لا يُرفع العمل .

وأما المثل الآخر في قوله تعالى: **(وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ)**[2]. فقد ضربه الله تعالى لكُفر الكافر وشركه به مثلا. ومعناه أن ليس لكُفر الكافر وعمله الذي هو معصيةُ الله في الأرض ثباتٌ ، ولا له في السماء مَصْعَد ، لأنه لا يَصْعَد إلى الله منه شيء.

---

١) إبراهيم (٢٤-٢٦) .

٢) إبراهيم (٢٦) .

فالممثَّل هو هذا ، أما الممثَّل به – في قول الأكثرين – فهو شجرة الشَّرْيان؛ أي الحنظل ، فهي ليس لها عرق ثابت ، ولا فرع عال ، ولا ثمرة زاكية ، ولا ظل ،ولا جَنَى ، ولا ساق قائم .

ومن خلال هذين المثلين نلمح الموازنة واضحة جلية بين الإيمان والكفر ، أو بين المؤمن والكافر ؛ فالإيمان ثابت في قلب المؤمن متجذر فيه ، وعمله الصالح يصدر عنه في كل حين ، ينتفع كل من حوله بطيب عمله ، ويصعد هذا العمل إلى السماء مشفوعا بكلمة التوحيد ، أما الكافر فكفره مثل شجرة خبيثة الطعم ، قبيحة المنظر ، عزيزة النفع ، لا ظل لها ، عنها يرغب الناس ؛ فكذلك الكافر لا يعمل خيرا ، ولا يقوله ، وإن كان منه فلا يُجعل له فيه بركة ولا منفعة ، ولا يقبل عمله ، ولا يصعد إلى الله ، فليس له أصل ثابت في الأرض ، ولا فرع في السماء .

وهذا الباب – أعني توظيف ضرب الأمثال في الموازنة – أمثلتُه في القرآن كثيرة منها :

– قصة صاحب الجنتين في سورة الكهف ؛ التي عُقدت فيها موازنة بين الغني المغتر بماله ، والفقير المعتز بعقيدته [1]

– وكضرب المثل موازنة بين الموحِّد الذي أسلم وَجهه لله وَحده ؛ والمشرك الذي أسلم وَجهه لأرباب مُتَفَرّقين تشبيها لحالهما بحال مملوك فِيهِ شُرَكَاء مختلفون ، عسرو الأخلاق ، يتنازعونه لتنفيذ مطالبهم ، وقضاء أوطارهم ، فتراه يقف متحيرا ؛ أيَّهم أولى أن يطيع ، ومملوكٍ آخر ،خالصٍ لرجل لا يشاركه فيه أحد ، يتوجه إليه وحده بكُلِّيته ، متوفر على خدمته لاينازعه فيه

١) تراجع الآيات في سورة الكهف (من ٣٢ إلى ٤٣) .

غيره ، وذلك في قوله تعالى : **(ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)**[1] وقد سيق هذا المثل بغرض نفي المساواة بينهما ، توصلا بذلك إلى نفي المساواة بين عبادة الإله الواحد سبحانه وتعالى والإخلاص له ، وبين التوجه بالعبادة لآلهة متعددة ، يتوزع الولاء القلبي بينها .

– وبنحو ما جاء في سورة الزمر جاء المثل في سورة الروم :قال الله تعالى: **(ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ مِنْ شُرَكاءَ فِي ما رَزَقْناكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَواءٌ تَخافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذلِكَ نُفَصِّلُ الْآياتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)**[2] .

– وَكضرب المثل لقلب الْمُؤمن وأعماله وقلب الْكَافِر وأعماله؛ في موازنة تفصيلية غير صريحة ، وذلك في آيات سورة النور من قوله تعالى : **(الله نور السَّمَاوَات وَالْأَرْض مثل نوره كمشكاة فِيهَا مِصْبَاح .....الآية)** إلى قوله تعالى : **(ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور)**[3]

---

١) الزمر (٢٩) .

٢) الروم: (٢٨).

٣) النور الآيات (٣٥ – ٤٠) .

٢- الموازنة باستخدام الأساليب البلاغية :

ثاني أساليب الموازنة ؛ الأساليب البلاغية ، وقد استخدمها العرب في كلامهم تَفَنُّنَا في وجوه الكلم ، ولتقع المعاني في المسامع أبلغ موقع ، وتستقر في النفوس كأحسن ما يكون ، فكانت فصاحتهم في ذروتها وقت نزول القرآن ، وبلغت شأواً لم تصل إليه من قبل ولا من بعد ، فلا غرو أن ينزل القرآن طِبقاً لمناحي العرب في القول ، بل ويَبُذُّ كافة أساليبهم . وفي موضوع الموازنات استُخدِمت الأساليب البلاغية ومنها :

أ) **استخدام التدبيج :** الذي هو تفعيل من الدبج وهو النقش والتزيين ، وعند البلاغيين : هو أن يذكر المتكلم لونين أو أكثر ، يقصد بذلك الكناية أو التورية عن أشياء من مدح أو وصف أو نسيب أو هجاء أو غير ذلك من الفنون.[١]

كما في قوله تعالى : (**يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ . وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**)[٢] ، فالآية الكريمة جاءت في سياق الأمر بالاعتصام بحبل الله تعالى ، والنهي عن احتذاء سيرة أهل الكتاب في التفرق والاختلاف في الدين بعد مجيئ الحجج الواضحة فاستحقوا العذاب العظيم ، وذلك العذاب سيكون في يوم تشرق فيه وتتهلل وجوه المؤمنين عندما يبشرون بالجنة ، وفي المقابل تُظْلِم وتَرْبَدُّ وجوه الكافرين لِمَا يرون من سوء مصيرهم ويُخاطبون على سبيل التوبيخ : أكفرتم

---

١) تحرير التحبير لابن أبي الإصبع المصري (٥٣٢) .

٢) آل عمران (١٠٦ , ١٠٧) .

بتفرقكم في الدين بعد أن عرفتم الحق وآمنتم به قذوقوا العذاب بسبب كفركم، وأما الذين أشرقت وجوههم فيدخلون الجنة برحمة الله لا يتحولون عنها أبدا .

فاستخدام التدبيج في هذه الموازنة – والله أعلم – كناية عن سرور المؤمنين وحزن الكافرين وليس المراد حقيقة اللونين المذكورين ، فكم من أسود البشرة يعلو وجهه نور الطاعة والإيمان ، وكم من أبيضه و ظلمة المعاصي والكفر تجعله أسود من حلك الغراب .

ب) استخدام أسلوب الاحتباك[1] :

كقوله تعالى : (أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ)[2] فالآية وردت في سياق يرد زعم المشركين إنكار البعث ، وأن الله سبحانه وتعالى ما خلق السماء والأرض لغاية ، وإنكارُهم للبعث يقتضي المساواة بين الطائع والعاصي ، بين المؤمن والفاجر ، ومن ثم فقد جاء قوله تعالى: **(أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ)** عاقدا موازنة تنفي المساواة بين المصلح والمفسد والمتقي والمارق ، حيث لا يقول بهذه المساواة ذو أدنى مسكة من عقل ، لا في المصير ولا في الجزاء . والآية جاءت على أسلوب الاحتباك حيث ذكر في أولها **(الَّذِينَ آمَنُوا)** وحذف مقابله (الذين أفسدوا) ، وذكر (المفسدين) وحذف مقابله : (المؤمنين).

---

١) الاحتباك أن يحذف من كلٍ ما أثبت مقابلَه في الآخَر ، فما ذكر في كلِ محل قرينة معينة للمحذوف من المحل الآخر. ينظر تحقيق كتاب الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني المحقق الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي (١٧٤/٣) .

٢) سورة : ص (٢٨) .

وكما في قوله تعالى **(أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ .....)**[1] ، ففي الآية احتباك ؛ إذ حذف مقابل **(مَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ)** وهو من يدخل الجنة ، وحذف مقابل **) مَنْ يَأْتِي آمِنًا)** وهو من يأتي خائفا، وهم أهل النار .[2]

جـ – الموازنة باستخدام الاستعارة التمثيلية[3] :

كما في قوله تعالى : **(أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)**[4] ، حيث جيئ في الآية بتمثيلين لحالتين ، حالة المسلمين حين فارقوا الشرك ، وحالة المشركين حين ظلوا على ماهم عليه من الكفر ، ونفى مساواة إحداهما للأخرى ، تنبيها على سوء أحوال أهل الشرك وحسن حال أهل الإسلام .

والهمزة في قوله : (أومن كان) للاستفهام المستعمل في إنكار تماثل الحالتين: فالحالة الأولى: حالة الذين أسلموا بعد أن كانوا مشركين ، وهي المشبهة بحال من كان ميتا مودعا في ظلمات ، فصار حيا في نور واضح ، وسار في الطريق الموصلة للمطلوب بين الناس ، والحالة الثانية: حالة

---

١) فصلت (٤٠)

٢) (التحرير والتنوير (٣٠٤/٢٤)

٣) الاستعارة التمثيلية : هي اللفظ المركب المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة ، و يكون كل من الطرفين فيها هيئة منتزعة من متعدد . المنهاج الواضح في البلاغة (١٣٧/٥) .

٤) الأنعام (١٢٢) .

المشرك ؛ وهي المشبهة بحالة من هو في الظلمات ليس بخارج منها ، لأنه في ظلمات.

ونفي المشابهة هنا معناه نفي المساواة ، ونفي المساواة كناية عن تفضيل إحدى الحالتين على الأخرى تفضيلا لا يلتبس .

والكلام جار على طريقة تمثيل حال من أسلم وتخلص من الشرك بحال من كان ميتا فأحيي، وتمثيل حال من هو باق في الشرك بحال ميت باق في قبره [١] .

د – الموازنة بنفي المشابهة التي تقتضي نفي المساواة التي هي كناية عن تفضيل أحد الشيئين عن الآخر

كقوله تعالى في سورة الرعد :

(قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ.....) [٢]

نظرة في السياق :

سياق سورة الرعد من مفتتحها إلى هنا يقيم الأدلة القاطعة على انفراد المولى سبحانه بالإلهية ، ثم تصل بنا الآيات إلى تقرير المشركين بصورة لا يجدون معها سوى الإقرار بألوهيته سبحانه على سبيل الانفراد ، لا شريك له فيها ، وجاء الكلام بصيغة الاستفهام في قوله : **(قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ**

---

١) بتلخيص من التحرير والتنوير (٤٣/٨) .

٢) الرعد (١٦) .

وَالْأَرْضِ .....) ، فالاستفهام فيه أيضا توبيخ وتسفيه لرأيهم بناء على الإقرار المُسَلّم. يقول الطاهر بن عاشور : (وفيه استدلال آخر على عدم أهلية أصنامهم للإلهية ، فإن اتخاذهم أولياء من دونه معلوم لا يحتاج إلى الاستفهام عنه.....وقوله (**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ**) أعيد فيه الأمر بالقول للاهتمام الخاص بهذا الكلام لأن ما قبله إبطال لاستحقاق آلهتهم العبادة . وهذا إظهار لمزية المؤمنين بالله على أهل الشرك ، ذلك أن قوله: **(قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ .....)** تضمن أن الرسول صلى الله عليه وسلم دعا إلى إفراد الله بالربوبية وأن المخاطبين أثبتوا الربوبية للأصنام فكان حالهم وحاله كحال الأعمى والبصير وحال الظلمات والنور.

ونفي التسوية بين الحالين يتضمن تشبيها بالحالين ..... واختير التشبيه في المتقابلات : العمى والبصر، والظلمة والنور ، لتمام المناسبة لأن حال المشركين أصحاب العمى كحال الظلمة في انعدام إدراك المبصرات ، وحال المؤمنين كحال البصر في العلم وكحال النور في الإفاضة والإرشاد.[1]

ومما هو من هذا الباب – أعني الموازنة بنفي المشابهة – ما جاء في نفس السورة في قوله تعالى :

(أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا

---

١) التحرير والتنوير (١١٣/١٣) .

مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ)[١] حيث إن في النظم حذفا يدل عليه ما هو مذكور فيه ، أو يدل عليه السياق . والتقدير:

أمَن هو قائم على كل نفس ومن جعلوهم به شركاء سواء في استحقاق العبادة . دل على تقديره ما تقتضيه الشركة في العبادة من التسوية في الإلهية واستحقاق العبادة. والاستفهام إنكار لتلك التسوية المفاد من لفظ شركاء [٢] .

٣ – المغايرة في النظم لفائدة :

من أساليب الموازنة : المغايرة في النظم لوجود فائدة تقتضي تلك المغايرة ؛ كالموازنة بين مصير المؤمنين ومصير الكافرين في الآخرة وذلك في قوله تعالى :

(فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ . وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ) [٣]

حيث كان البدء بذكر حالِ الذين آمنوا مع أن الموضع موضع ذكر المجرمين ، لتقدم ذكرهم في قوله تعالى : **(وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ.وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ)**[٤] وذلك لوصول الثواب إلى المؤمن قبل وصول العقاب إلى الكافر ، فيكون ذلك أنكى للكافر ، ولو أُدخل الكافرُ النار أولاً لظن أن الكل في العذاب

---

١) الرعد ٣٣) .

٢) التحرير والتنوير (١٤٩/١٣) .

٣) الروم (١٥ ، ١٦) .

٤) الروم (١٢ ، ١٣) .

مشتركون ، فكان التقديم قطعا لهذا الظن ، وزيادة في إيلام الكفار برؤية المؤمنين مسرورين منعمين في روضات الجنات .

ومثله ماجاء في قوله تعالى : **(فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ . وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُجْرِمِينَ)** [١]

حيث ابتدئ في التفصيل بوصف حال المؤمنين مع أن المقام للحديث عن المبطلين في قوله: **(وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ)** [٢] ، وذلك تنويها بالمؤمنين وتعجيلا لمسرتهم وتعجيلا لمساءة المبطلين لأن وصف حال المؤمنين يؤذن بمخالفة حال الآخرين لحاله .

أفاده العلامة ابن عاشور في التحرير والتنوير[٣].

وقال الدكتور الزحيلي : ذكر الله تعالى حال الفريقين من المؤمنين والكافرين ، ليتبين الأمر للمخاطب في نفسه ، ويعتبر من المقارنة بين الحالين ، من طريق المقابلة وذكر الأضداد . فأما الذين صدقوا بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وعملوا صالح الأعمال ، بأداء الفرائض أو التكاليف ، فيدخلهم ربهم الجنة ، وذلك الإدخال محقق لنيل البغية والظفر بالمطلوب.

وأما الذين أنكروا وحدانية الله والبعث ، فيقال لهم على سبيل التوبيخ : ألم تكن آياتي الكونية والقرآنية تتلى على مسامعكم ، فاستكبرتم وأبيتم الإيمان بها ، وكنتم قوما مجرمين في أفعالكم ، بارتكاب الآثام والمعاصي[٤] .

---

١) الجاثية (٣٠،٣١) .

٢) الجاثية (٢٧) .

٣) التحرير والتنوير (٣٧١/٢٥) .

٤) التفسير الوسيط للزحيلي (٢٤٠٥/٣) .

ومن فوائد المغايرة في النظم كذلك :

- **المناداة بالجهل على أحد طرفي الموازنة ، أو للمبالغة في المدح والذم**

كقوله تعالى: **(وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ...)** [١] .

يقول الشهاب الخفاجي رحمه الله :كان من حقه : وأما الذين كفروا فلا يعلمون ، ليطابق قرينه ويقابل قسيمه ، وهو هنا يعلمون ولا يعلمون ، لتَقابُلِ السلب والإيجاب فيه ، أي لم يقل : أما الذين كفروا فلا يعلمون ، حتى يقابل قسيمه ، بل عدل عنه للمبالغة في المدح والذمّ المذكورَيْن ، لأنّ هذا يدل على أنّ قولهم هذا لفرط جهلهم ، على طريق الكناية التي هي أبلغ من التصريح لإثبات المدعى ببينة بينة كما أشار إليه ، لأن قولهم : **(مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا)** إما لعدم العلم ، أو للإنكار وكل منهما يدل على الجهل دلالة واضحة . [٢]

والغرض من الموازنة : ذم الكافرين ببيان فرط جهلهم وعنادهم ، ومدح المؤمنين بالعلم والتسليم لله تعالى في كافة أفعاله التي منها ضرب المثل بالحقير والعظيم ، لأنه سبحانه لا يقول ولا يفعل إلا الحق.

---

١) هو من قوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا....) الآية ٢٦ من سورة البقرة

٢) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ٢/(٩٣) بتصرف يسير .

٤ – حذف أحد طرفي الموازنة

وهذا الحذف قد يكون:

أ) لوجود دليل على المحذوف ، وهو الاكتفاء بذكر جزائه

كما في قوله تعالى : **(أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)**[١] . والمعنى : أفمن وسّع الله صدره ، فقبله واهتدى بهدية ، فأصبح مستنير القلب بنور الله ، وهو نور المعرفة ، والاهتداء إلى الحق ، كمن قسا قلبه لسوء اختياره وغفلته وجهالته؟! أي لا يستوي المهتدي للإسلام والحق ، ومن هو قاسي القلب، البعيد عن الحق ، فالعذاب الشديد لمن تحجرت قلوبهم عند سماع ذكر الله ، ولم تخشع لصوت الحق ، أولئك قساة القلوب في ضلال واضح عن الحق، ولا يفهم الكلام إلا بمحذوف يدل عليه الظاهر، تقديره كالقاسي القلب والمعرض عن ذكر الله [٢] .

أو أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه مثل الذي حق عليه كلمة العذاب فهو في ظلمة الكفر ؟ فهذا من دلالة السابق – أي قوله تعالى: **(أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ)** [٣] ، أو تقديره : مثل من قسا قلبه ؟ فيكون من دلالة اللاحق، أعني قوله : **(فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)**[٤] .

---

١) الزمر : (٢٢) .
٢) (الوسيط للزحيلي ٣/٢٢٣٢)
٣) الزمر (١٩) .
٤) الزمر (٢٢) .

والغرض من الموازنة : نفي المساواة بين طرفيها ، وإثبات أفضلية المهتدي للحق الذي شرح الله صدره لقبول الهداية .

وقد يكون الحذف :

ب) استهانة بالمحذوف ، مع ذكر ما يدل عليه

كقوله تعالى : (**أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ....، أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا ... ، أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ ... ، أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ ... ، أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ .....)** [١] .

فأم في قوله **(أَمَّنْ)** متصلة وما عُطِف عليه بأم محذوف تقديره : أآلهتكم التي لم يَخلُقُوا شيئا وهم يُخلَقون خير أم من خَلَق .. الخ ؟

وفي الآية الثانية يقدّر : أآلهتكم العاجزة عن تقدير المخلوقات لتقوم بوظيفتها التي خلقت من أجلها خيرٌ أمّن خلق الأرض وشق فيها أنهارها ، وثبتها بالجبال الرواسي لئلا تميد بمن عليها ، ومَرَج البحرين وجعل بينهما حاجزا حتى لا يطغى الملح على العذب . أآلهتكم خير أم هو ؟ وفيما بقي من الآيات يُقَدَّرُ ما يناسبها مثلما قُدِّر في الآية الأولى والثانية .

والغرض من هذه الموازنة :

<u>أولاً :</u> (تبكيت المشركين والتهكم بحالهم ، وذلك أنهم آثروا عبادة الأصنام على عبادة الله تعالى ، ولا يؤثر عاقل شيئاً على شيء إلا لزيادة خير ومنفعة ، فقيل لهم هذا الكلام تنبيهاً على نهاية ضلالهم وجهلهم)[٢]

---

١) النمل : (٦٠ – ٦٤).

٢) مفاتيح الغيب (٤٠/١٢) بتصرف يسير .

ثانياً : بيان طلاقة القدرة الإلهية ، والعجز التام لكل ما يعبد من دون الله تعالى .

والملاحظ هنا حذف المعادل في قوله : **(أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ....)** وما بعده استهانة به ؛ لأنه أقل من أن يُعتنى به فيجري له ذكر في هذه المعادلة ، بل يكفي وجود ما يدل عليه في سابق النظم ، وهو قوله تعالى : **(آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ)** [1] ، وقوله في آخر كل آية : **(أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ ...)** .

ومن أساليب الموازنة كذلك :

٥ – الموازنة بعدم الاستواء بين الطرفين مع التصريح بنتيجة الموازنة بينهما

كقوله تعالى:**(وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)**[2]

حيث وازنت الآية بين من أنفق ماله في سبيل الله ، وجاهد المشركين قبل الحديبية – على أرجح الأقوال[3] – وبين من أنفق وجاهد بعده ، وفضلت

---

١) النمل : (٥٩).

٢) (الحديد ١٠) .

٣) اختلف في المراد بالإنفاق والفتح فقيل : المعنى : من آمن ، أي آمن فأنفق ، وليس من هاجر كمن لم يهاجر . وهو مروي عن مجاهد ، وقيل المراد بالفتح فتح مكة ، وبالنفقة النفقة في جهاد المشركين ، وهو قول قتادة وزيد بن أسلم .وقيل المراد بالفتح في هذا الموضع فتح الحديبية ، لحديث أبي سعيد الخدريّ، قال، قال لنا رسول الله ==

الأوائل على الأواخر ، وأسلوب الموازنة هنا بعدم الاستواء بينهما ، ثم ذكرت الآيات نتيجة الموازنة ؛ وهي تفضيل من أنفق وقاتل قبل الفتح على من فعل ذلك بعده ، وتلك لفتة لا تحدث كثيرا في الموازنات القرآنية ، ولعل السر في ذلك بيانُ الفضل ، وشرفِ السبق في الدنيا ، وعظيمِ الأجر والثواب في الأخرة لأولئك السابقين في الإسلام ، قطعا لأي دعوى باشتراك الصحابة جميعا في المنزلة والأجر بقطع النظر عن السبق إلى الإسلام أو عدمه ، وفي هذا الأمر ما فيه من مراعاة حظ النفس البشرية ، وتطييب خاطر أهل السبق في الإيمان ، والنفقة ، والجهاد .

وقوله تعالى : (لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ)[1]. فيه موازنة بين أهل الجنة وأهل النار في الجزاء ، وأيهما أحق بالظفر بالمطلوب والنجاة من المكروه .فالآية جاءت بعد استعراض السورة لما كان بين المؤمنين وبين يهود بني النضير ومن والاهم من المنافقين ، ونصر الله تعالى للمؤمنين على الفريق الآخر ، وبعد تعقيب القصة بالأمر بتقوى الله ، والتحذير من نسيان أوامره ، بينت الآيات أن الطرفين لا يستويان بوجه من الوجوه ، لا في الدنيا ولا في الآخرة ، والقصر المستفاد

==

صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم عام الحديبية: "يُوشكُ أنْ يأتي قَوْمٌ تَّحْقِرُونَ أعمالَكُمْ مَعَ أعمالِهِمْ، قلنا: من هم يا رسول الله، أقريش هم؟ قال: لا وَلَكنْ أهْلُ اليمَن أرَقُّ أفْئِدَةً وألْيَنُ قُلُوبا، فقلنا: هم خير منا يا رسول الله، فقال: لَوْ كانَ لأحَدَهِمْ جَبَلٌ مِنْ ذَهَب فأنْفَقَهُ ما أدْرَكَ مُدّ أحَدِكُمْ وَلا نَصيفَهُ، ألا إنَّ هَذَا فَصْلُ ما بَيْنَنَا وَبَينَ النَّاس، (لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ) ... الآية، إلى قوله: (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) " الحديد (١٠) . وقد رجح الطبري وغيره القول الأخير .

١) الحشر (٢٠) .

من ضمير الفصل في قوله تعالى: (**هم الفائزون**) قصر ادعائي[١] ؛ لأن فوزهم أبدي ، وفوز غيرهم ببعض أمور الدنيا كالعدم بالنسبة إلى فوزهم ، فشتان ما بينهما .

قال الشيخ الشنقيطي : وَالْآيَةُ عِنْدَ جُمْهُورِ الْمُفَسِّرِينَ فِي بَيَانِ الْمُقَارَنَةِ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ، وَهُوَ ظَاهِرُ السِّيَاقِ بِدَلِيلِ مَا فِيهَا مِنْ قَوْلِهِ : (أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ) فَهَذَا حُكْمٌ عَلَى أَحَدِ الْفَرِيقَيْنِ بِالْفَوْزِ، وَمَفْهُومُهُ الْحُكْمُ عَلَى الْفَرِيقِ الثَّانِي بِالْهَلَاكِ وَالْخُسْرَانِ [٢] .

٦ – الاستفهام الإنكاري :

كثانية الآيتين التاليتين في قوله تعالى :

(وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ . أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ) [٣]. فالآية الثانية قد سُبِقت بالحديث عن قيمة المتاع في الدنيا الفانية بالنسبة لما عند الله تعالى من الثواب للطائعين الذي هو جنة فيها ما لا عين رآت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، في الآخرة الباقية ، أَفَلا تَعْقِلُونَ أن الباقي خير من

---

١) القصر الإدعائي : ما كان القصر الحقيقي فيه مبنيًّا على الإدعاء والمبالغة بتنزيل غير المذكور منزلة العدم وقصر الشيء على المذكور وحده . الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني (٦/٣) .

٢) أضواء البيان (٥٩/٨) .

٣) القصص (٦٠، ٦١) .

الفاني ؟ أبَعْد التفاوت المذكور بين ما عند الله وبين متاع الحياة الدنيا يُسوَّي بين أهل الجنة وبين أبناء الدنيا ؟

فالآية الكريمة إيضاح لما قبلها من البون بين الدنيا والآخرة .

وقد استخدم في هذه الموازنة أسلوب الاستفهام الإنكاري المستعمل في إنكار المشابهة والمماثلة بين أهل الوعد الحسن بالموعود الحسن ، وبين الممتعين بالزائل الحائل من متاع الدنيا ، فالمعنى : ليس من وعدناه وعدا حسنا – وهو مصدِّق بوعد الله تعالى – فهو لاقيه لامحالة ؛ لأن وعد الله لا يتخلف ؛ كمن هو ممتَّع في الدنيا أياما قلائل وهو مكذب بلقاء الله ووعدِه ووعيدِه ؛ فإنهما لا يستويان

ومثله قوله تعالى : **(أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ)**[1] فقد جات الموازنة فيه بصيغة الاستفهام الإنكاري ، ونفي المساواة التي تقتضي بدورها تفضيل أحد الطرفين على الآخر ، وقد تقدم الحديث في هذه الآية عند الحديث في الموازنة التفصيلية

---

١) السجدة (١٨) .

المطلب الرابع : أدوات الموازنة

١ – (أمَّا) التفصيلية :

قال ابن مالك : أما حرف تفصيل. وقال بعض النحويين: إنها قد ترد حيث لا تفصيل فيه، كقولك : أمَّا زيد فمنطلق. ولذلك قال بعضهم: هي حرف إخبار مضمن معنى الشرط. فإذا قلت: أمَّا زيد فمنطلق، فالأصل : إن أردت معرفة حال زيد فزيد منطلق ، حذفت أداة الشرط وفعل الشرط ، وأنيبت (أمَّا) مناب ذلك [١] . وقد تأتي لمجرد التمييز والفصل بين شيئين أو أشياء تشتبه أو تختلط. وهو ضرب من ضروب التفصيل الذي تأتي له (أمَّا) [٢] .

ومن أمثلة استخدام (أمَّا) التفصيلية في الموازنة ما جاء في قوله تعالى :

(إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ) [٣]

كلمة **(فَأَمَّا)** هنا للتفصيل ، أي تفصيل حال الذين يتلقون الأمثال المضروبة في القرآن لأجل الهداية ، وهي في معنى أداة الشرط ، والمعنى : مهما يكن من الأمر في المثل الذي ساقه الله تعالى فالذين آمنوا وأذعنوا للحق إذا بدا لهم يعرفون جازمين بالدليل القاطع أنه الحق أي الأمر الثابت الذي لَا

---

١) الجنى الداني في حروف المعاني (٥٢٢) .

٢) التحرير والتنوير (٢٠٧٣٢٤)

٣) البقرة (٢٦) .

يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه، **(مِنْ رَبِّهِمْ)** أي من الله العلي القدير خالقهم ، ومدبر أمور الوجود بحكمته، وقوته، وبذلك يزدادون إيمانا.

وأما الذين كفروا فيظهرون استغرابهم بل استنكارهم، فيقولون: **(مَاذَا أَرَادَ اللَّهَ بِهَذَا مَثَلًا)؟** فهم يستفهمون استغرابا ، أو إنكارا ، ما الذي يريده تعالى بهذا المثل ، إنهم يعرفون المثل ومضربه ، وما تشبه به من حالهم ، ولكن يثير المثل استغرابا ثم إنكارا ، وذلك من رسوخ الضلال في نفوسهم ، فلا يزيدهم المثل إلا إمعانا في الضلال.[1]

فهذه موازنة بين حال المؤمن وحال الكافر مع الأمثال التي يضربها الله تعالى في القرآن الحكيم ، موازنة بين من يزداد بها إيمانا وبين من يضل بها، ولا تزيده من الله إلا بعدا ، فالمؤمن يعلم أنها حق من الله تعالى ، فيزداد بذلك إيمانه ، قال سبحانه **(وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ)** [2] ، والكافر ينظر إليها نظرة شك وارتياب ، أو نظرة سخرية ؛ فيضل بها ، قال تعالى **(وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ)** [3] .

وكما في قوله تعالى– تمييزا بين المؤمنين والمنافقين عند نزول آيات الله تعالى – في سورة التوبة : **(وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ**

---

١) بتلخيص من زهرة التفاسير (١٧٧/١) .

٢) العنكبوت (٤٣) .

٣) المدثر (٣١) .

هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ . وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ) [1].

فهذه موازنة بين أثر القرآن في قلوب المؤمنين وقلوب المنافقين ، وحكايةٌ لمقالة المنافقين – عند نزول القرآن – على سبيل السخرية من القرآن ومن المؤمنين في اعتقادهم زيادة الإيمان بزيادة العلم الحاصل بالوحي والعمل به، أو يقولون ذلك لإخوانهم المنافقين لتثبيتهم على النفاق ، أو لعوامّ المؤمنين وضعَفتِهم لصَدِّهم عن الإيمان: **(أَيُّكُمْ زادَتْهُ هذِهِ إيماناً)** ؟ فجاء الجواب موازِنا بين الطرفين في ذلك ؛ واستُخدِم حرف التفصيل (أمَّا) لتفصيل حال الفريقين ؛ فجاء الحديث عن الطرف الأول : **(فأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا)** بزيادة العلمِ اليقينيّ الحاصلِ من التدبر فيها، أو زادتهم عملا ؛ إذ الإيمان يزيد بالعمل الصالح ، **(وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ)** بنزولها ، وبما فيها من المنافع الدينية والدنيوية.

وجاء الحديث عن الطرف الثاني بقوله تعالى : **(وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ)** أي : والذين في نفوسهم شك وكفر ونفاق ، فتزيدهم السورة كفرا ونفاقا مضموما إلى كفرهم ونفاقهم السابق ، ويستحكم ذلك فيهم إلى أن يموتوا وهم كافرون بالقرآن وبالنبي ﷺ .والملاحظ في النظم الكريم أنه قابل زيادة الإيمان في جانب الذين آمنوا بزيادة الرجس (أي الكفر في هذا الموضع) في جانب الذين

---

١) التوبة (١٢٤ ، ١٢٥) .

كفروا ، وقابل البشرى بالموت على الكفر ، ليتحصل فائدتان للمؤمنين ، ومصيبتان للكافرين[١] .

وقوله تعالى : (**وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ . فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ . وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ**)[٢] .

الملاحظ أن الآيات قد عقدت مقابلة بين حال كل من السعداء والأشقياء ، وفصلت حالهم بعد الحشر والحساب ، وبينت أنهم يتفرقون فُرقة لا اجتماع بعدها ، فأهل الجنة يُذهب بهم إلى اليمين ، في الجنات ينعمون ، وأهل النار يُذهب بهم إلى الشمال ، في النار يعذبون . وقد تقدم الحديث حول هذه الآية عند تناول أساليب الموازنة .

– وقوله تعالى :(**فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ . وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُجْرِمِينَ**)[٣]، فقد ذكر الله تعالى حال الفريقين من المؤمنين والكافرين ، ليتبين الأمر للمخاطب في نفسه ، ويعتبر من المقارنة بين الحالين ، من طريق المقابلة وذكر الأضداد. فأما الذين صدّقوا بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وعملوا صالح الأعمال، بأداء الفرائض أو التكاليف ، فيدخلهم ربهم الجنة ، وذلك الإدخال محقِّق لنيل البغية والظفر بالمطلوب .

---

١) التحرير والتنوير (٦٦/١١) بتصرف .

٢) الروم (١٢– ١٦) .

٣) الجاثية (٣٠،٣١) .

وأما الذين أنكروا وحدانية الله والبعث ، فيقال لهم على سبيل التوبيخ: ألم تكن آياتي الكونية والقرآنية تتلى على مسامعكم، فاستكبرتم وأبيتم الإيمان بها، وكنتم قوما مجرمين في أفعالكم، بارتكاب الآثام والمعاصي.[١]

- وقوله تعالى : **(إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى . فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى . وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى . فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى. وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى . وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى . فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى . وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى)** [٢]

فقد أوضحت الآيات أن الناس فريقان، وحددت منهج وطريق كل فريق ، وجزاء كل منهم في الآخرة: فأهل الإيمان والسعادة والجنة ؛ وهم الذين بذلوا المال وصدقوا بوعد الله في الآخرة ، وأهل الكفر والشقاوة والنار ؛ وهم الذين بخلوا بالأموال واستغنوا عن ربهم عز وجل ، وأنكروا ما وعد الله به من الجنة [٣].

فقوله : (فأمَّا) هو تفريع وتفصيل للإجمال في قوله: **(إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى)** ، فالجميع قد اشترك في السعي ؛ فجيء بالتفصيل الذي هو تفكيك بين متعدد اشتركت أفراده في حالة وانفرد بعضها عن بعض بحالة هي التي يعتنى بتمييزها.

فالغرض الأساس من الكلام هنا هو **التفصيل** لكن جاءت الموازنة بين أجزاء المفصَّل بالتبع كما هو الملاحظ .

---

١) الوسيط للزحيلي (٣/٢٤٠٥) .

٢) الليل (٤ - ١١) .

٣) التفسير المنير للزحيلي (٣٠/٢٦٦)

وربما يقال إن الموازنة ليست هي الغرض الأساس من الكلام في كثير من المواضع المستشهد بها ؛ أقول قد تكون الموازنة كذلك ؛ لكنها تأتي بالتبع كما هو الملاحظ في كثير من الأمثلة التي سقتها في البحث

٢- أفعل التفضيل

ومن أدوات الموازنة : أفعل التفضيل ؛ وهو ما وضع لموصوف بزيادةٍ على غيره في المعنى المشتق هو منه [١] .

أو هو الوصف المبني على أفعل لزيادة صاحبه على غيره في أصل الفعل. [٢] .

ومن صيغ التفضيل؛(خير وشر) ، الذي أصلهما: أخير وأشر ، لكن حذفت الهمزة لكثرة الاستعمال [٣]

قال فِي الْكَافِيَةِ:

وَغَالِبًا أَغْنَاهُمْ خَيْرٌ وَشَرٌّ ... عَنْ قَوْلِهِمْ أَخْيَرُ مِنْهُ وَأَشَرٌّ [٤]

---

١) شرح شافية ابن الحاجب (٢٧٩/١) لمحمد بن الحسن الرضي الإستراباذي .

٢) شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو(٩٢/٢) ,للشيخ خالد الأزهري . ويأتي أفعل التفضيل من كل فعل ثلاثي، متصرف، تام ، قابل معناه للتفاضل، غير مبني للمفعول، ولا منفي، ولا مدلول على فاعله بـ"أفعل". شرح الكافية (١١٢١/٢).

٣) المصدر السابق .

٤) شرح كافية ابن الحاجب (١١٢١/٢) .

وقد يرد أفعل التفضيل مجردا عاريا عن معنى التفضيل، كقوله تعالى: **(.... هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى)**[1]

وتتضح الموازنة بأفعل التفضيل من كون الموصوفَيْنِ قد اشتركا في أصل صفة وزاد أحدهما على الآخر .

ومن أمثلة استخدام أفعل التفضيل في الموازنات قوله تعالى :

(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ) [2] .

فههنا موازنتان موضوعهما واحد ،

الأولى (تفصيلية) وازنت بين :

– قتال المسلمين المشركين في الشهر الحرام ،

وبين :

–الصد عن سبيل الله الذي هو الإسلام (أي منع من يريد الدخول في الإسلام من ذلك).

– والصد عن المسجد الحرام

– وإخراج المسلمين من ديارهم وأموالهم في مكة

– والكفر بالله تعالى .

---

١) النجم (٣٢) . وينظر توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك (٩٣٧/٢) .
٢) البقرة (٢١٧) .

الثانية (إجمالية) في قوله تعالى : **(وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ)**.

فالفتنة التي هي : حمل الناس على الردة عن الإسلام بتعذيبهم ، وتشكيكهم فيه ، و صد الناس عن الدخول في الإسلام و إيذاء المسلمين في دينهم بالقول والفعل ، ومنعهم من إظهار عبادتهم ، وقطيعتهم في المعاملة، بيعا وشراء ، ، وفي سائر المعاملات ، والاستهزاء بهم ، وتعذيب أكثرهم وتمالؤهم على قتل الرسول صلى الله عليه وسلم ، وإخراج المسلمين من مكة، والاستيلاء على أموالهم ، ومنع نسائهم من اللَّحاق بهم بعد أن خرجوا، وصدهم عن البيت ؛ كل ذلك في مجموعه أكبر من قتل المسلمين واحدا من المشركين في الشهر الحرام – عن غير علم بدخول الشهر الحرام ؛ كحادثة قتل عمرو بن الحضرمي وأَسْر اثنين آخرَيْن – الذي هو كبير بالفعل .

فالموازنة إذاً هنا بين الطرفين في الإثم ، فالتفضيل في (أكبر) تفضيل في الإثم ، أي أحد الطرفين أعظم إثما من الآخر .

قال ابن عاشور : لا جرم أن الذين استعظموا حصول القتل في الشهر الحرام واستباحوا حرمات ذاتية بصد المسلمين، وكفروا بالله الذي جعل الكعبة حراما ، وحرّم لأجل حجها الأشهر الحرم، وأخرجوا أهل الحرم منه، وآذوهم، لأحرياء بالتحميق والمذمة ، لأن هاته الأشياء المذكورة كلها محرمة لذاتها لا تبعا لغيرها.

والمعنى أن الصد وما عطف عليه من أفعال المشركين أكبر إثما عند الله من إثم القتال في الشهر الحرام.

والتفضيل في قوله: أكبر: تفضيل في الإثم أي كل واحد من تلك المذكورات أعظم إثما [١] .

– وفي سورة الحديد استخدم أفعل التفضيل في الموازنة في قوله تعالى : **(وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)** [٢] .

– وكذلك في سورة القلم في قوله تعالى : **(كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)**[٣]، وفي مواضع كثيرة في القرآن الكريم

الموازنة باستعمال كلمة التفضيل (خير) :

كقوله تعالى :

(وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ)[٤] فقوله **(وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ)** تنبيه على كون المشركات أدنى منزلة من المؤمنات ، وتحذير من تزوجهن ومن الاغترار بما يكون للمشركة من حسب أو جمال أو مال، وهذه طرائق الإعجاب بما في المرأة بقوله: **(وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ)**وأن من لم

---

١) التحرير والتنوير (٣٢٨/٢ –٣٣٠) بتصرف .

٢) الحديد (١٠) .

٣) القلم ٣٣) .

٤) البقرة (٢٢١) .

يستطع تزوج حرة مؤمنة فليتزوج أمة مؤمنة خير له من أن يتزوج حرة مشركة، فالأمة هنا هي المملوكة، والمشركة الحرة بقرينة المقابلة بقوله: ولأمة مؤمنة فالكلام وارد مورد التناهي في تفضيل أقل أفراد هذا الصنف على أتم أفراد الصنف الآخر.

والمقصود من الموازنة في قوله:)خير (التفضيل في المنافع الحاصلة من المرأتين ، (لا في دين كل منهما إذ لا خير في الكفر من أي وجه) فإن في تزوج الأمة المؤمنة منافع دينية ، وفي الحرة المشركة منافع دنيوية، ومعاني الدين خير من أعراض الدنيا المنافية للدين ، فالمقصود منه بيان حكمة التحريم استئناسا للمسلمين[١] .

فالغرض من هذه الموازنة بيان فضل الإيمان على الكفر ، والمؤمن على الكافر ، وكمال النفس على جمال الجسم ، وبيان فضل شرف القلب على شرف النسب ؛ ومثلها في هذا المعنى قوله تعالى بعد ذلك: (وَلَعَبْدٌ مؤْمِنٌ خَيْرٌ من مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ) فكلتا الجملتين الساميتين تشير إلى فضل الحقيقة الخُلُقية والدينية على المظهر الجسمي، والاستعلاء النَّسَبي[٢] .

– وكقوله تعالى حكاية لقول يوسف عليه السلام لصاحبيه في السجن : **(أَأَرْبابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْواحِدُ الْقَهَّارُ)** [٣].

---

١) التحرير والتنوير (٣٦١/٢)

٢) زهرة التفاسير (٧١٩/٢) بتصرف

٣) يوسف (٣٩) .

فالحق أنه لا خير فيما يعبد من دون الله تعالى ، لكن على فرض أن في هذه المعبودات من دونه تعالى خيرا فهي خير أم الله الواحد القهار ؟.وشتان بين هذه المعبودات المتعددة المقهورة ، وبين الإله الواحد القهار .

وقدسبق الحديث في هذا المثال في ص (٣١) فيما كان على صورة الموازنة وهو ليس كذلك .

ومن الموازنة باستخدام (خير) في التفضيل ما ورد في سورة الفرقان موازنة بين نعيم المتقين وعذاب المكذبين في قوله تعالى **(بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا . إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا . وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا . لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا . قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا . لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا)** [١]

– وفي سورة الصافات بعد ذكر صنوف من نعيم أهل الجنة في قوله تعالى : **(أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ..... الآيات)** [٢] .

---

١) الفرقان (١١– ١٦) .

٢) الصافات (٦٢) .

إشكال وحلُّه

ولاستعمال أفعل التفضيل في الموازنة إشكال حين لا يكون ثَم تفاضل بين طرفي الموازنة ، فكيف يستعمل أفعل التفضيل في هذا الباب ؟

وللشيخ الشنقيطي – صاحب أضواء البيان – تحقيق شريف للمسألة قد يُحَلُّ به الإشكال حيث يقول ما ملخصه :

إن صيغة التَفْضِيلِ ، تَدُلُّ عَلَى اشْتِرَاكِ الْمُفَضَّلِ، وَالْمُفَضَّلِ عَلَيْهِ فِي أَصْلِ الْفِعْلِ ، إِلَّا أَنَّ الْمُفَضَّلَ أَفْضَلُ فِيهِ مِنْ صَاحِبِهِ الْمُشَارِكِ لَهُ فِيهِ، ثم نَقَل عن ابن قدامة (صاحب المغني) أن صيغة (أفعل) قد تستعمل للمنفرد بالفعل ولا يراد بها التفضيل ، ومثّل له بقوله تعالى (: **أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى**) [1] وقوله **(فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ)** [2]، وقوله: **(قال يا قوم هؤلاء بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ)** [3]، فصيغة التفضيل في الآيات المذكورة لمطلق الوصف لا لحصول التفضيل بين شيئين .

وأضاف الشيخ الشنقيطي أن استعمال صيغة التفضيل لمطلق الوصف وخروجها عن التفضيل إنما يكون بدليل خارجي يقتضي ذلك الاستعمال ، أو قرينة واضحة تدل عليه ، ففي الأمثلة التي أوردها ابن قدامة ترى أن الْأَصنام لا نصيبَ لها من أحقيَّةِ الاتِّباع أصلًا فِي قَوْلِهِ: **(أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ**

---

١) يونس (٣٥) .
٢) الأنعام (٨١) .
٣) هود (٧٨) .

أَمَّنْ لَا يَهِدِّي)[1]، والكفارَ لا نصيب لهم فِي الأحقِّيةِ بالأمن، وأدبارَ الرجال لا نصيبَ لها في الطهارَة. فكلها فيها أدلة خارجية على أن المراد بكل هذه الصيغ مطلق الوصف لا التفضيل بين شيئين .

واستشهد الشيخ الشنقيطي لذلك بقوله تعالى: **(وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ)** [2] أي هين سهل عليه .

وبقول الشاعر[3]:

وإن مُدّت الأيدي إلى الزادِ لم أكن بأعْجَلِهِم إذ أجْشَعُ القوم أعجلُ

أي : لم أكن بالعَجِل منهم .

وقولِ الآخر[4] :

إن الذي سَمَك السماء بنى لنا بيتا دعائمه أعزٌّ وأطولُ

أي : عزيزة طويلة . اهـ [5]

ثم أجاب الشيخ الشنقيطي رحمه الله عن هذا الإشكال في موضع آخر بجوابين :

الْأَوَّلُ: أَنَّ صِيغَةَ التَّفْضِيلِ قَدْ تُطْلَقُ فِي الْقُرْآنِ، وَفِي اللُّغَةِ مُرَادًا بِهَا مُطْلَقُ الِاتِّصَافِ ، لَا تَفْضِيلُ شَيْءٍ عَلَى شَيْءٍ.

---

١) يونس (٣٥) .
٢) الروم (٢٧) .
٣) هو الشنفري صاحب اللامية المشهورة .
٤) هو الفرزدق الشاعر المشهور .
٥) أضواء البيان (٤٤٧/٥)

الثَّـانِي: أَنَّ مِـنْ أَسَـالِيبِ اللُّغَـةِ الْعَرَبِيَّـةِ أَنَّهُـمْ إِذَا أَرَادُوا تَخْصِـيصَ شَـيْءٍ بِالْفَضِيلَةِ، دُونَ غَيْرِهِ جَاءُوا بِصِيغَةِ التَّفْضِيلِ ، يُرِيدُونَ بِهَا خُصُوصَ ذَلِكَ الشَّيْءِ بِالْفَضْلِ [1] .

وبذلك ؛ فإن صيغة التفضيل (أعلم) الواردة في قوله تعالى :

(إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى) [2] ، وَقَوْلِهِ :

(إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) [3]، وغيرها من الآيات ؛ الظَّاهِرُ أَنَّ صِيغَةَ التَّفْضِيلِ هذه يُرَادُ بِهَا مُطْلَقُ الْوَصْفِ لَا التَّفْضِيلُ ; لِأَنَّ اللَّهَ لَا يُشَارِكُهُ أَحَدٌ فِي عِلْمِ مَا يَصِيرُ إِلَيْهِ خَلْقُهُ مِنْ شَقَاوَةٍ وَسَعَادَةٍ .

---

١) أضواء البيان (٦/٣٠).

٢) النَّجْمِ (٣٠) .

٣) القلم (٧) .

٣ – همزة الاستفهام [١]

ومن الأدوات المستخدمة في الموازنة همزة الاستفهام في مواضع شتى في القرآن الكريم ، ومن هذه المواضع :

قوله تعالى في سورة العنكبوت :

(أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ) [٢] والغرض الموازنة بين حال أم القرى وبين ما حولها من البلاد من حيث الأمن ؛ فمكة بلد آمن لوجود البيت الحرام فيها ، وغيرها لا يأمن الناس فيها على أنفسهم وأموالهم ، وتلك نعمة تستوجب الشكر من أهل مكة ، لكنهم تتناقض أحوالهم ؛ فهم بالشرك أو بإبليس يؤمنون وبنعمة الله وعطائه وإحسانه يكفرون ويجحدون.

و كقوله تعالى **(أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ.....)** [٣]فهذه موازنة بين الذين يتبعون الحق ، والذين يطلبون الدنيا وزينتها ، وتكون وحدها مقصدهم ويشركون بالله تعالى ، وبين الذين يؤمنون بالله ، والمعنى أمن كان على بينة من ربه كمن هو في عماية عن الحق ولا يدرك

---

١) همزة الاستفهام هي حرف مشترك : يدخل على الأسماء والأفعال، لطلب تصديق، نحو: أزيد قائم ؟ أو تصور ، نحو : أزيد عندك أم عمرو ؟ الجنى الداني للمرادي (٣٠) .

٢) العنكبوت (٦٧) .

٣) (هود ١٧) .

إلا الحياة الدنيا ، وحذفت الموازنة الدالة على المفارقة الواضحة بينهما ، إذ فرقٌ بين من يطلب الحق الباقي ومن يطلب العاجل الفاني [١].

وقوله جل شأنه :**أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ)** [٢] في الموازنة بين المؤمن الذي ينعم في الجنة ، والكافر الذي يدفع العذاب عن نفسه بوجهه

وقوله تعالى (أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا .....)[٣] . وقد سبق الحديث حول الموازنة في هذه الآية في ص (١٦) من البحث . والاستفهام في الأمثلة الثلاثة السابقة بمعنى النفي ، والغرض منه عدم التسوية بين طرفي الموازنة .

ضوابط الموازنة

كشأن موضوع الموازنات من حيث عدم الكتابة فيه استقلالا ؛ فكذلك المنهج الذي يمكن اتباعه لضبط الموازنات لم يفرد بالكتابة ،لكن يمكن تتبع شوارد ما سطرته أقلام بعض الأجلة من العلماء في هذا ، كالإمام الباقلانى – رحمه الله – صاحب كتاب : إعجاز القرآن ؛ فله منهج في الموازنة بين به فضل كتاب الله تعالى ، يمكن تطبيقه في بقية صور الموازنات ، حيث يقول : (.... أن تنظر أولا في نظم القرآن ، ثم في شيء من كلام النبى صلّى الله عليه وسلم ، فتعرف الفصل بين النظمين ، والفرق بين الكلامين ، فإن تبين لك الفصل ، ووقعت على جلية الأمر ، وحقيقة الفرق ، فقد

---

١) باختصار من زهرة التفاسير (٣٦٨٥) .

٢) (الزمر ٢٤) .

٣) السجدة (٨١) .

أدركت الغرض ، وصادفت المقصد ، وإن لم تفهم الفرق ، ولم تقع على الفصل ، فلا بدّ لك من التقليد ، وعلمت أنك من جملة العامة ، وأن سبيلك سبيل من هو خارج عن أهل اللسان)[1] .

ثم وازن بعد ذلك بين كلام النبي صلي الله عليه وسلم وبين كلام الصحابة، وبين كلامهم وكلام من خلفهم ممن قرب عهده بهم ، وفي الأخير عقد موازنة بين القرآن وبين الشعر في حديثهما عن الغزوات ، وبين القرآن وبين أشهر ما قاله شعراء العرب .

ويمكن أن نستنبط من كلامه أنه لكي تصح الموازنة فلا بد من :

أولا : وجود الجهة الجامعة بين طرفي الموازنة . (ولو بوجه من الوجوه)

ثانيا : الاستقصاء في معرفة خصائص وصفات طرفي الموازنة .(وذلك لكي تقوم الموازنة على أسس سليمة) .

وقد وجدت في تفسير (أو خواطر) الشيخ الشعراوي رحمه الله ما يمكن أن يكون وجها آخر لتصحيح (الموازنة) وهو أنه ينبغي أن تكون من جميع الوجوه لا من وجه دون وجه [2] .

ونرى العلامة الطيبي يبرز وجها تحسُن وتتحقق به الموازنة وهو التوافق بين الطرفين – في شكل وصورة الموازنة – وذلك عند الحديث عن الموازنة بين وعد الشيطان ووعد الرحمن حيث يقول :

---

١) إعجاز القرآن للباقلاني ص (١٢٨) .

٢) بمعناه من تفسير الشعراوي (٩١٦٨/١٥) .

ثم وازن بين قوله: **(وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً)**[١] وبين قوله : **(وَمَنْ أَصْدَقُ مِنْ اللَّهِ قِيلاً)**[٢] من جهة وضع المظهر موضع المضمر فيهما ومن النفي المستفاد من الاستفهام وما إلى غير ذلك لتتحقق المعارضة.[٣]

لكن إن كان الأمر كما سبق ؛ فكيف صحت الموازنة في قوله تعالى : **(أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)** [٤] ، وهي بين **أعمال** : (سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام) **وأشخاصٍ** (المؤمنون بالله واليوم الآخر ، المجاهدون في سبيل الله) ؟ والصحيح أن تكون بين أعمال وأعمال أو بين أشخاص وأشخاص . وقد أجاب عن ذلك الشيخ عبد الكريم الخطيب رحمه الله فقال :

إن هؤلاء الأشخاص الذين كانوا يؤدّون تلك الأعمال ، ويحسبون أنها قربات عند الله، وأنها تجعل لهم شأنا وذكرا عنده، هى أشياء لا حساب لها فى ميزان الأعمال ، إذ كانت غير مستندة إلى إيمان ، ولم يكن الذين يأتونها بالمؤمنين بالله..

والحديث عن هذه الأعمال ، دون الحديث عن أصحابها، يشير إلى أن أصحابها لا معتبر لهم فى موازين الناس ، ماداموا على غير الإيمان.. وعلى هذا التقدير جاء النظم القرآنى بأعمالهم، ولم يجىء بهم، إذ كانت

---

١) النساء (١٢٠) .
٢) النساء (١٢٢) .
٣) حاشية الطيبي (٥ / ١٦٤) .
٤) التوبة (١٩) .

الأعمال فى ظاهرها حسنة طيبة، ولكنها لا تعود بثمرة عليهم، ولا تضاف لحسابهم..

أما المؤمنون بالله، واليوم الآخر والمجاهدون فى سبيل الله، فإنهم بإيمانهم بالله وباليوم الآخر وبالجهاد فى سبيله، أصبحوا هم الصورة الكاملة للإنسان الكامل الذي ينظر إليه وإلى أعماله ، كأصل أصيل فى تقويم الناس وأعمال الناس [1] .

أقول : يمكن القول إن الاتفاق في كل الوجوه لتصحيح الموازنة أمر أغلبي لا كلي ، ويكون العدول عن هذا الاتفاق لنكتة كما في آية سورة التوبة المذكورة آنفا ، والله أعلم .

١) التفسير القرآني للقرآن (٥/٧١٩) .

المبحث الثاني : أهداف (أغراض) الموازنات

للموازنات أهداف كلية وأخرى جزئية :

لم تأت الموازنات في القرآن الكريم عبثا ، ولم تُسَق حشوا ، بل جاءت ذات أغراض متعددة ، وأهداف متباينة ، وكان منها ماغرضه كلي ، وماهو ذا غرض جزئي ، ويمكن ضبط كلية الغرض أوجزئيته بإنه إذا كان الموضوع عاما ، والخطاب فيه لعموم من هم أهل للخطاب ؛كان الغرض من الموازنة كليا أو عاما ، أما إذا كان الموضوع خاصا ؛ بأن نزلت الآيات على سبب خاص ، أو حادثة بعينها ؛ أو موقف وموطن معين ؛ كان الغرض جزئيا أو خاصا .(مع ملاحظة أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب في دلالة مثل هذه الآيات على الحُكم أو المعنى) .

وفيما يلي عرض موجز بالأمثلة لبعض الأغراض الكلية والجزئية لبعض الموازنات :

فمن الأغراض الكلية أو العامة لبعض الموازنات :

- **بيان أنواع الناس في الدعاء :**

كما في قوله تعالى : **(فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ . أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ)** [1] .

---

١) البقرة (٢٠٠- ٢٠٢) .

يقول أبو حيان في البحر : (أُولئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا تَقَدَّمَ انْقِسَامُ النَّاسِ إِلَى فَرِيقَيْنِ: فَرِيقٌ اقْتَصَرَ فِي سُؤَالِهِ عَلَى دُنْيَاهُ، وَفَرِيقٌ أَشْرَكَ فِي دُنْيَاهُ أُخْرَاهُ، فَالظَّاهِرُ أَنَّ: أُولَئِكَ، إِشَارَةٌ إِلَى الْفَرِيقَيْنِ، إِذِ الْمَحْكُومُ بِهِ، وَهُوَ كَوْنُ: نَصِيبٍ لَهُمْ مِمَّا كَسَبُوا، مُشْتَرَكٌ بَيْنَهُمَا، وَالْمَعْنَى: أَنَّ كُلَّ فَرِيقٍ لَهُ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبَ، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنْ شرا فشر. وَلَا يَكُونُ الْكَسْبُ هنا الدّعاء ، بل هذا مجردُ إخبارٍ من اللَّهِ ما يؤول إليه أمر كل واحد من الفريقين ، وأن أنصباءهم من الخير والشر تابعة لِأكسابهم)[1] .

- بيان عاقبة اتباع الهدى ، وعاقبة الإعراض عنه :

كقوله تعالى في سورة البقرة : **(قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)** [2] .

وكقوله تعالى في سورة طه : **(قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى . وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى)** [3]. فهاتان موازنتان الهدف منهما بيان عاقبة اتباع الهدى ، وعاقبة الإعراض عنه وهو هدف عام كما هو ملاحظ من استعمال اسم الموصول (مَنْ) .

- بيان حال الإنسان حين مساسه بالضر وحاله حين كشفه عنه :

---

١) البحر المحيط (٣٠٩/٢) .

٢) البقرة (٣٨ , ٣٩) .

٣) طه (١٢٣ , ١٢٤) .

كما في قوله تعالى : (**وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**) [١] ، وقوله : (**وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ . وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ**) [٢] ،

وقوله عز شأنه : (**وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا**) [٣]

– بيان الفرق بين من يريد الحياة الدنيا ويعمل لها وبين من يريد الآخرة ويعمل لها وهو مؤمن

كما في قوله تعالى : (**مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا . وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا**) [٤]

وقوله:(**مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ**)[٥] .

---

١) يونس (١٢) .
٢) هود (٩ ، ١٠) .
٣) الإسراء (٨٣ , ٨٤) .
٤) الإسراء (١٨ , ١٩) .
٥) الشورى (٢٠) .

- **بيان قيمة الحياة الدنيا بالنسبة للآخرة**

فيُرى نعيمُ الحياة الدنيا في الآخرة قليلا ضئيلا ، كزاد مسافر ينتفع و يستمتع به على عجل ، كما في قوله تعالى :

(اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ) (١).

وقوله تعالى : **(أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ)** (٢) .

- **بيان الفرق بين نزل أهل الجنة ونزل أهل النار وما أُعِدّ لكلٍ :**

كما في قوله تعالى :

(إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ . لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ . أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ .....الآيات) (٣).

- الإنكار على من يسوي بين المؤمنين وبين المفسدين في الأرض ، وكذلك بين المتقين وبين والفجار

كما في قوله تعالى: **(أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ)** (٤)

ونظائر هذا النوع كثيرة في القرآن الكريم .

---

١) الرعد (٢٦) .
٢) التوبة (٣٨) .
٣) الصافات : (٦٠ – ٦٨) .
٤) سورة ص (٢٨) .

ومن الأغراض الجزئية أو الخاصة لبعض الموازنات :

- ذكر سبب التحريم أو التحليل في فروع الشريعة

كقوله تعالى :(**قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ . وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ)** [1] .

فقد ذكر القرآن الكريم مقارنة لطيفة بين المطعومات المحرّمة في شريعتنا وبين المحرّمات منها على اليهود، ليظهر الفارق الواضح بين أسباب التحريم ، ففي شريعتنا كان سبب التحريم في المطعومات الحرام ما فيها من ضرر وأذى للصحة أو العقيدة ، وفي شريعة اليهود كان سبب التحريم هو البغي والعدوان وتجاوز حدود الوحي الإلهي ، فاستحقوا بذلك المكايدة والمضايقة في الدنيا وإنزال العذاب عليهم في الآخرة. [2]

---

١) الأنعام : (١٤٥ – ١٤٦) .

٢) التفسير الوسيط للزحيلي (٦١٩/١) .

– بيان قلة شأن سائر الأعمال مقابل الإيمان بالله والجهاد في سبيله تعالى :

كما في قوله تعالى: **(أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)** [1].

فهذه موازنة بين تلك الأعمال التي كان يعدّها المشركون من القربات ، وبين الإيمان الذي عمر قلوب المسلمين ، ووصلهم بالله ربّ العالمين ، وفى هذه الموازنة تبدو تلك الأعمال التي كانوا يعملونها – وهم متلبسون بالشرك – تبدو ضئيلة تافهة ، لا وزن لها إلى جانب الإيمان بالله وما يملأ كيان المؤمن من الإيمان بالله واليوم الآخر والجهاد فى سبيل الله.. (لا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ) اهـ . [2]

– بيان موقف المؤمنين والمنافقين من الجهاد ، فضحاً للمنافقين وإثباتاً لفضل المؤمنين.

كما في قوله تعالى في سورة التوبة : (وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ . رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ . لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ

---

١) التوبة : (١٩) .

٢) التفسير القرآني للقرآن (٥/ ٧١٨) بتصرف يسير .

لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) [١] .

فقد وازنت الآيات بين فريقين ، ذمت أحدهما ومدحت الآخر ، ذمت الذين يتقاعسون عن الجهاد مع القدرة عليه صحة وطَوْلا ، فيستأذنون النبي صلى الله عليه وسلم مختلقين الأعذار الواهية بغرض القعود عن الجهاد ؛ هؤلاء هم المنافقون الذين انكشفت سريرتهم ، وظهرت طويتهم ، أما الفريق الآخر وهم الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنون معه ؛ فقد هبّوا لتلبية نداء الإيمان – بكل مقتضياته – ونداء الجهاد ، وبذلوا النفس والنفيس في سبيل الله تعالى ، فكافأهم الله تعالى بخير الدنيا – النصر ودحر الكافرين – ونعيم الآخرة في جنات عرضها السماوات والأرض ، لأنهم الأحقاء بالفلاح .

– **بيان الفرق بين سلوك وأعمال المؤمنين والكافرين .**

كقوله تعالى في مفتتح سورة محمد (صلى الله عليه وسلم) : **(الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ . وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ . ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ)**[٢] .

يقول الدكتور الزحيلي : (كثيرا ما يعقد الحق سبحانه وتعالى موازنة أو مقارنة بين أحوال الكافرين وسلوكياتهم ، وبين أحوال المؤمنين الذين يعملون الصالحات واختياراتهم ، فيزيد الفريق الأول وهم الضالون ضلالا وحيرة ،

---

١) التوبة (٨٦– ٨٩) . وينظر الوسيط للزحيلي (٩٠٠/١) .

٢) سورة محمد (١– ٣) .

ويجعلهم مثلا وعبرة ، ويزيد الفريق الثاني وهم المؤمنون صلاحا وتوفيقا ، ويكفّر عنهم سيئاتهم ، ويعصمهم من المعاصي ، ويرشدهم إلى عمل الخير في الدنيا ، ويورّثهم نعيم الجنة في الآخرة ، وهذا لون بيّن من هذه المقارنة في الآيات في مطلع سورة محمد) ا هـ [١] .

- بيان طلاقة قدرة المولى سبحانه وتعالى ؛ ومنتهى العجز الذي تتصف به الأصنام :

كما في قوله تعالى : **(أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى . وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى . أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى . تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى . إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى)** [٢].

لمّا جرى في صفة الوحي ومشاهدة رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريلَ عليه السلام ما دل على شؤون جليلة من عظمة الله تعالى وشرف رسوله صلى الله عليه وسلم وشرف جبريل عليه السلام ؛ إذ وصف بصفات الكمال ومنازل العزة كما وصف النبي صلى الله عليه وسلم بالعروج في المنازل العليا، كان ذلك مما يثير موازنة هذه الأحوال الرفيعة بحال أعظم آلهتهم الثلاث في زعمهم وهي: اللات، والعزى، ومناة التي هي أحجار مقرها الأرض لا تملك تصرفا ولا يعرج بها إلى رفعة [٣].

---

١) التفسير الوسيط للزحيلي (٣ /٢٤٢٩) .

٢) سورة النجم (١٢-٢٣) .

٣) التحرير والتنوير (١٠٢/٢٧) .

- **بيان حال المؤمنين والمنافقين عند الصراط :**

(يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ . يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ . ينادونهم .... الآيات) [1] وقد سبق الحديث عن هذه الموازنة عند الحديث عن الموازنات الخاصة ؛ يراجع ص (٢٦ ، ٢٧) من هذا البحث .

- **بيان الغرض الذي من أجله أسس مسجد المدينة أو قباء ومسجد المنافقين (الضرار) :**

كما في قوله تعالى : **(وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ . لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ . أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)**[2]

---

١) الحديد (١٢- ١٥) .

٢) التوبة (١٠٧-١١٠) .

- الإزراء بعقول المشركين الذين يسوون بين أنفسهم وبين المؤمنين في ثواب الآخرة .

كقوله تعالى : **(أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ . مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ)** [1]

- تقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة :

كما في قوله تعالى :

(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) [2] يقول العلامة ابن باديس :

(موازنة وترجيح : هنالك المصلحة العامة وهنالك المصلحة الخاصة، ومحال أن تساوى هذه بتلك ، انظر إلى الذكر الحكيم كيف عبر عن الأولى بالأمر الجامع، وفي هذا ما فيه من تفخيم. وعبر عن الثانية ببعض الشأن، وفي هذا ما فيه من التحقير والتقليل.

وفي قرنها بالاستغفار تنبيه على ترجيح الأولى على الثانية، وأنها ما كانت تعتبر إلاّ على وجه الرخصة، والاستغراقُ في الاهتمام والتدبير للمصلحة العامة أحق وأولى.) اهـ [3]

---

١) القلم (٣٥ , ٣٦) .

٢) النور : (٦٢) .

٣) تفسير ابن باديس (٣٣٦/١) .

- **بيان الفرق بين المصدق والمكذب ؛ في الفعل وفي الجزاء :**

كما في قوله تعالى :

(فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ . وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ . لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ . لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ) [1] .

---

١) الزمر (٣٢ – ٣٥) .

الخاتمة :

وفي الختام فإن :

– الموازنات من الموضوعات التي شغلت حيزا ليس باليسير من القرآن الكريم .

– الموازنات القرآنية تعددت في أقسامها ، وأساليبها ، وأدواتها .

– للموازنات أهداف تساق من أجلها ، وتسعى لترسيخها في أذهان المخاطبين .

– ليس كل ما هو على صورة الموازنة يعتبر منها أو يندرج تحتها .

– هذا البحث دراسة نماذجية وليست استقصائية لمواضع الموازنة في القرآن الكريم .

– الموازنات تعتبر من أبكار الموضوعات القرآنية ؛ لذا فإن الباحث يأمل أن :

- يتم التوسع في دراسة الموازنات القرآنية ، واستكناه كافة جوانبها .
- تدرس كأحد موضوعات مادة التفسير الموضوعي .
- يكلف القسم طلاب الدراسات العليا – قبل التسجيل لموضوع التخصص (الماجستير) ضمن مادة قاعة البحث مثلا – بعمل أبحاث في الموازنات القرآنية .

والله تعالى من وراء القصد وهوأعلى وأعلم .

المصادر والمراجع

أولاً : القرآن الكريم .

ثانياً : الكتب .

١) ابن أبي الإصبع المصري ، عبد العظيم بن الواحد بن ظافر العدواني، البغدادي ، (المتوفى: ٦٥٤هـ) ، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن . ، تقديم وتحقيق: الدكتور حفني محمد شرف . الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي . القاهرة ، مصر .

٢) ابن أبي حاتم ، محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي (المتوفى: ٣٢٧هـ) تفسير القرآن العظيم ، تحقيق : أسعد محمد الطيب ، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية الطبعة: الثالثة – ١٤١٩ هـ .

٣) ابن الجوزي ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (المتوفى: ٥٩٧هـ) . زاد المسير في علم التفسير، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.

٤) ابن باديس ، عبد الحميد بن محمد الصنهاجي ، (١٣٠٨ – ١٣٥٩هـ) تفسير ابن باديس المسمى : (في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير) ، جمع وترتيب: د. توفيق محمد شاهين جامعة الأزهر، ومحمد الصالح رمضان أستاذ بوزارة التربية

الجزائرية، علق عليه وخرج آياته وأحاديثه أحمد شمس الدين. ط دار الكتب العلمية ، بيروت– لبنان . (د، ت).

٥) ابن عاشور ، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) ، التحرير والتنوير ، أو تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد . الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس ، ١٩٨٤ هـ .

٦) ابن عبد البر ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ) ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، نشر دار الجيل، بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م .

٧) ابن عساكر ، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (المتوفى: ٥٧١هـ) تاريخ دمشق ، تحقيق : عمرو بن غرامة العمروي . الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.

٨) ابن فارس ، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي ، (المتوفى: ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م. .

٩) ابن منظور ، محمد بن مكرم بن على، جمال الدين الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) ، لسان العرب تحقيق : عبد الله علي الكبير وآخرين ، الناشر: دار المعارف القاهرة – مصر . (د، ت) .

١٠) أبو حيان ، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان ، أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ). البحر المحيط في التفسير ، تحقيق : صدقي محمد جميل ، الناشر: دار الفكر – بيروت ، الطبعة: ١٤٢٠ هـ .

١١) أبو زهرة ، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد ، (المتوفى: ١٣٩٤هـ) ، زهرة التفاسير الناشر : دار الفكر العربي .

١٢) الأزهري ، الشيخ خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاويّ (المتوفى: ٩٠٥هـ) ، شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح ، الناشر: دار الكتب العلمية –بيروت–لبنان لطبعة: الأولى ١٤٢١هـ– ٢٠٠٠م .

١٣) الآلوسي ، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني المتوفى: ١٢٧٠هـ) ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. تحقيق : علي عبد الباري عطية ،الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ .

١٤) الباقلاني ، أبو بكر محمد بن الطيب (المتوفى: ٤٠٣هـ) ، إعجاز القرآن ، تحقيق : السيد أحمد صقر ، الناشر: دار المعارف – مصر ، الطبعة: الخامسة، ١٩٩٧م .

١٥) البقاعي ، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر (المتوفى: ٨٨٥هـ) ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور نشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

١٦) البيضاوي ، القاضي ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (المتوفى: ٦٨٥هـ). أنوار التنزيل وأسرار التأويل . تحقيق : محمد عبد الرحمن المرعشلي ،الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.

١٧) التهانوي ، محمد علي بن علي بن محمد الحنفي (المتوفى: بعد ١١٥٨هـ) ، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، نشر : دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ – ١٩٩٨ م .

١٨) الجوهري ، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ،تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين – بيروت ، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م .

١٩) الْحَرَالِّي أبو الحَسَنِ عَلِي بن أَحْمَدَ بنِ حَسَنٍ التُّجِيْبِي الأَنْدَلُسِيّ (المتوفى: ٦٣٨هـ) ، تراث أبي الحسن الْحَرَالِّي المراكشي في التفسير ، مستخرج من: تفسير البقاعي «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور».تقديم وتحقيق:محمادي بن عبد السلام الخياطي، أستاذ بكلية أصول الدين تطوان ،الناشر: المركز الجامعي للبحث العلمي – الرباط . الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م .

٢٠) الحكيم الترمذي ، محمد بن علي بن الحسن بن بشر، (المتوفى: نحو ٣٢٠هـ) الأمثال من الكتاب والسنة ، تحقيق : د. السيد الجميلي، الناشر: دار ابن زيدون / دار أسامة – بيروت، (د، ت).

٢١) الحميرى ، نشوان بن سعيد اليمني (المتوفى: ٥٧٣هـ) ، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، تحقيق : د حسين بن عبد الله العمري وآخرين ، دار الفكر المعاصر (بيروت – لبنان)، دار الفكر (دمشق – سورية ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ ، ١٩٩٩ م .

٢٢) الخازن ، أبو الحسن علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي ، (المتوفى: ٧٤١هـ) ، لباب التأويل في معاني التنزيل. تصحيح: محمد علي شاهين .الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ .

٢٣) الخطيب ، عبد الكريم يونس (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ) ، التفسير القرآني للقرآن ، الناشر: دار الفكر العربي ، القاهرة .

٢٤) الخطيب القزويني ، محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي ، جلال الدين القزويني الشافعي، (المتوفى: ٧٣٩هـ) ، الإيضاح في علوم البلاغة ، تحقيق : الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ، الناشر: دار الجيل – بيروت الطبعة: الثالثة . (د ، ت) .

٢٥) دروزة ، محمد عزة ، التفسير الحديث ، الناشر: دار إحياء الكتب العربية – القاهرة تاريخ الطبع : ١٣٨٣ هـ .

٢٦) الذهبي ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (المتوفى: ٧٤٨هـ). تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام ، تحقيق : الدكتور بشار عوّاد معروف ،الناشر: دار الغرب الإسلامي ، الطبعة: الأولى ، ٢٠٠٣ م .

٢٧) الذهبي ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (المتوفى : ٧٤٨هـ) ، سير أعلام النبلاء تحقيق : شعيب الأرناؤوط ،الناشر : مؤسسة الرسالة ،الطبعة : الثالثة ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥ م .

٢٨) الرازي ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين التيمي ، الملقب بفخر الدين خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير ، نشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ .

٢٩) الرضي الإستراباذي ، نجم الدين محمد بن الحسن (المتوفى: ٦٨٦هـ) ، شرح شافية ابن الحاجب ، تحقيق الأساتذة: محمد نور الحسن ، محمد الزفزاف ، محمد محيى الدين عبد الحميد ، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م .

٣٠) الزبيري ، وليد بن أحمد الحسين ، وآخرون ، الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة «من القرن الأول إلى المعاصرين ، الناشر: مجلة الحكمة، مانشستر – بريطانيا . الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م .

٣١) الزحيلي ، وهبة بن مصطفى ، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، الناشر : دار الفكر المعاصر – دمشق ، الطبعة : الثانية ، ١٤١٨ هـ .

٣٢) الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون

الأقاويل في وجوه التأويل ، الناشر : دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ.

٣٣) الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد، جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) ، أساس البلاغة ، تحقيق: محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، ط أولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م .

٣٤) السمرقندي ، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم (المتوفى: ٣٧٣هـ) ، تفسير بحر العلوم . تحقيق : عادل عبد الموجود وآخرون ، نشر : دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان

٣٥) السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر ، جلال الدين (المتوفى: ٩١١هـ) ، الدر المنثور في التفسير بالمأثور الناشر: دار الفكر – بيروت . (د ، ت) .

٣٦) الشعراوي ، محمد متولي (المتوفى: ١٤١٨هـ) تفسير الشعراوي ، الناشر: مطابع أخبار اليوم ١٩٩٧ م .

٣٧) الشنقيطي ، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني ، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن . الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان ، الطبعة: ١٤١٥هـ – ١٩٩٥ م .

٣٨) الشهاب الخفاجي ، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر المصري الحنفي (المتوفى: ١٠٦٩هـ) ،حاشية الشهاب المسماة : عناية

القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي ، نشر: دار صادر – بيروت ، (د ، ت) .

٣٩) الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) ، فَتْحُ الْقَدِيرِ الْجَامِعُ بَيْنَ فَنَّيِ الرِّوَايَةِ وَالدِّرَايَةِ من علم التفسير ، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب- دمشق، بيروت ،الطبعة: الأولى – ١٤١٤ هـ .

٤٠) الطبري ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر (المتوفى: ٣١٠هـ) ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن. ، تحقيق العلامة أحمد محمد شاكر الناشر: مؤسسة الرسالةالطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .

٤١) طنطاوي ، محمد سيد ، التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة . الطبعة: الأولى .

٤٢) الطيار ، مساعد بن سليمان بن ناصر ، فصول في أصول التفسير ، نشر دار ابن الجوزي ، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ .

٤٣) الطيبي ، شرف الدين الحسين بن عبد الله (المتوفى: ٧٤٣ هـ) ، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف) ، الناشر: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم ، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م .

٤٤) العسقلاني ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر (المتوفى: ٨٥٢هـ) ، تقريب التهذيب ، تحقيق : محمد

عوامة ، الناشر: دار الرشيد – سوريا ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ – ١٩٨٦.

٤٥) عمر ، أحمد مختار وآخرون . معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي ، نشر: عالم الكتب، القاهرة ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م .

٤٦) عوني ، حامد ، المنهاج الواضح للبلاغة ، الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث ، (د ، ت) .

٤٧) القاسمي ، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق (المتوفى: ١٣٣٢هـ) ، محاسن التأويل ، تحقيق : محمد باسل عيون السود ، الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت ،لطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ .

٤٨) مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف ، التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ،الطبعة: الأولى، (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م) – (١٤١٤ هـ = ١٩٩٣ م) .

٤٩) مجموعة من العلماء بمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، المعجم الوسيط ، نشر دار الدعوة .اقاهرة ، (د ، ت) .

٥٠) محمد رشيد رضا ، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ) ، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) ، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠ م .

٥١) المرادي ، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المصري المالكي (المتوفى : ٧٤٩هـ) ، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك ، ، شرح وتحقيق : عبد الرحمن علي سليمان ، أستاذ اللغويات في جامعة الأزهر ، الناشر : دار الفكر العربي ،الطبعة : الأولى ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م .

٥٢) المرادي ، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المصري المالكي (المتوفى: ٧٤٩هـ) ، الجنى الداني في حروف المعاني ، تحقيق : د فخر الدين قباوة - الأستاذ محمد نديم فاضل ، نشر دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ،الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م .

٥٣) مرتضى، الزَّبيدي ، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني ، (المتوفى: ١٢٠٥هـ) ، تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق: مجموعة من المحققين الناشر: دار الهداية ، (د ، ت) .

٥٤) المستعصمي ، لمحمد بن أيدمر ، (ت ٧١٠ هـ) ، الدر الفريد وبيت القصيد تحقيق الدكتور كامل سلمان الجبوري، نشر دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م .

٥٥) المؤيد بالله ، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم ، الحسيني العلويّ الطالبي (المتوفى: ٧٤٥هـ) ، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، الناشر: المكتبة العصرية – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ .

٥٦) النيسابوري ، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي (المتوفى: ٨٥٠هـ) ، غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، تحقيق : الشيخ زكريا عميرات ،الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت ، الطبعة: الأولى – ١٤١٦ هـ .

٥٧) الواحدي ، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) . التَّفْسِيرُ البَسِيْط ، تحقيق: مجموعة من الباحثين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، الناشر: عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ

٥٨) الواحدي ، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) . الوسيط في تفسير القرآن المجيد . تحقيق: مجموعة من الباحثين بجامعة الأزهر ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤ م .

فهرس الموضوعات

الموضوع

المقدمة

تمهيد

المبحث الأول :

المطلب الأول : أقسام الموازنة

أولاً : باعتبار التصريح بطرفي الموازنة وأدواتها وعدمه :

القسم الأول : الموازنة الصريحة

القسم الثاني : الموازنة الغير الصريحة

ثانيا: الموازنة باعتبار التوسع فيها وعدمه، أو باعتبار الإجمال والتفصيل:

القسم الأول : الموازنة الإجمالية

القسم الثاني : الموازنة التفصيلية

ثالثا : الموازنة باعتبار العموم و الخصوص :

رابعا : أقسام الموازنة من حيث التشابه وعدمه بين طرفيها .

خامسا : أقسام الموازنة من حيث الإفراد أو التعدد .

المطلب الثاني : ما كان على صورة الموازنة وليس منها .

المطلب الثالث : أساليب الموازنة :

١ – ضرب المثل .

٢ – استخدام الأساليب البلاغية .

٣ – المغايرة في النطم لفائدة

٤ – حذف أحد طرفي الموازنة

٥ – الموازنة بعدم الاستواء بين الطرفين

٦ – الاستفهام الإنكاري

المطلب الرابع : أدوات الموازنة .

١ – (أمّا) التفصيلية .

٢ – أفعل التفضيل .

الموازنة باستعمال كلمة (خير) .

إشكال وحَلّه .

٣ – همزة الاستفهام .

ضوابط الموازنة .

المبحث الثاني : أهداف الموازنة .

الخاتمة .

المصادر والمراجع .

فهرس الموضوعات